المذهب المالكي وأثره على بعض جوانب الحياة في الدولة المرابطية(*)

(٤٤٨-٥٤١هـ/١٠٥٦-١١٤٧م)

د. محمود كامل محمد السيد عبد الكافي

مدرس التاريخ الإسلامي -كلية التربية -جامعة مطروح

ملخص البحث

لعب انتشار المذهب المالكي دورًا بالغ الأهمية في مجتمع الغرب الإسلامي في العصر المرابطي،في ظل تأثر هذا المذهب بشخصية الإمام أنس بن مالك -إمام أهل الهجرة -.وقد ساعدت على غلبة هذا المذهب في بلاد المغرب طبيعته المتسمة بالبساطة والمرونة الواضحة، والبعد عن التعقيد ومحاربة أهل البدع والأهواء ،وذلك كله جعله مذهبا اجتماعيا يلائم فطرة أهل المغرب والبداوة الغالبة عليهم، وظروفهم التي تشبه ظروف بيئة الحجاز التي مكنته من هذا الانتشار . وتستهدف الدراسة إبراز ملامح المذهب ،ودوره المؤثر في العصر المرابطي،تلك الملامح التي تدل على بساطة الدعوة الي الإسلام ،والنزوع لتجديد الخطاب الديني، وتجنب الصراع على تولية الحكم ،وبساطة حياة المجتمع المرابطي الاجتماعية ،وتشبثهم بإرثهم الصحراوي من بساطة العيش ،والاقتصار في المأكل ،والمشرب ،والعزوف عن زخرف الحياة .كما تستهدف الدراسة أيضا إبراز هذه البساطة في الحياة العمرانية ،وعدم ميلهم للزخرفة والإقلال منها قدر المستطاع ،وأنهم كانوا غير مبالين ببهرج الحياة وزينتها ،كما كان للمذهب المالكي أثره الواضح في الحياة الاقتصادية في بلاد المغرب والأندلس ،وذلك بالتزامهم حدود الشرع في العصر المرابطي، ولم يطالبوا الناس بالمكوس والزكاة والعشر والغنائم .

(*) هناك بعض الدراسات التي تبحث في المذهب المالكي،ودراسات أخرى تبحث في الحياة الاجتماعية والاقتصادية والفكرية في عصر المرابطين، ومن أبرز هذه الدراسات :

- نجم الدين الهنتاتي، المذهب المالكي بالغرب الإسلامي إلى منتصف القرن الخامس الهجري،الحادي عشرالميلادي،دار تبر الزمان، تونس، ٢٠٠٤ م
- عمر الجيدي، مباحث في المذهب المالكي بالمغرب،منشورات عكاظ،طبع في المغرب،١٩٩٣ م
- دراسة الدكتور حسن علي حسن" الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس " عصر المرابطين والموحدين " ،ط١، مكتبة الخانجي ،مصر ، ١٩٨٠م.
- دراسة الدكتور حسن أحمد محمود " قيام دولة المرابطين " صفحة مشرقة من تاريخ المغرب في العصور الوسطى ، دار الفكر العربي ،د.ت.
- دراسة عيسى بن الذيب " المغرب والأندلس في عصر المرابطين " دراسة اجتماعية واقتصادية ٤٨٠هـ -٥٤٠هـ / ١٠٥٦م-١١٤٥م وهي رسالة دكتوراه في التاريخ الوسيط ، جامعة الجزائر ،٢٠٠٨م .
- دراسة مريامه لعناني "الأسرة الأندلسية في عصري المرابطين والموحدين ، وهي رسالة ماجستير جامعة منتوري قسنطية ، الجزائر.د.ت.

لكن الملفت للنظر أن معظم هذه الدراسات التي تبحث عن المذهب المالكي، لم تتطرق الي أثر المذهب علي حياة المجتمع المغربي والأندلسي في عصر المرابطين،من حيث البساطة في شتى مجالات الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والفكرية بل تعرضت لجوانب منها دون أخرى، وأعرضت عن كثير من تفاصيل حياتهم البسيطة والمتواضعة،وأيضا الدراسات التي تبحث عن الحضارة الإسلامية والحياة الاجتماعية والاقتصادية والفكرية لم تكشف عن خلق عظيم من أخلاق المرابطين المفقود وهو البساطة،وهذا ما دعا الباحث لخوض غمار هذا البحث،سعيا وراء إجابات لأسئلة لم يجب عنها الباحثون السابقون.

Research Summary

The spread of the Maliki school played a very important role in the western Islamic society in the Almoravid era, in light of the influence of this sect by the personality of Imam Anas bin Malik – the imam of the people of migration –. The people of innovation and desires, and all of this made it a social doctrine that suits the people of Morocco and the Bedouin over them under the conditions of the environment of the Hijaz that enabled it to spread. It aims to highlight the features of the doctrine, and its influential role in the Almoravid era Those features that indicate the simplicity of the call to Islam, the tendency to renew the religious discourse, avoiding the conflict over rule, the simplicity of the social life of the Almoravid community, and their clinging to their desert heritage of simplicity of living, restriction in food and drink, and reluctance to embellish life. The study also aims to highlight This simplicity in urban life, and their lack of inclination for ornamentation and minimizing it as much as possible, and that they were indifferent to the glamor and adornment of life, as the Maliki doctrine had a clear impact on the economic life in the Maghreb and Andalusia, by their commitment to the limits of Sharia in the Almoravid era, and they did not demand people to pay taxes, and ten And the spoils.

المقدمة

أظلَّ الإسلام رقعة شاسعة من العالم،وصبغ المناطق التي أظلها بصبغته التي لا تخطئها عينٌ في مناحي الحياة كافة،الثقافية والاجتماعية والبيئية،غير أنه مما لا شك فيه أيضًا أن تلك المناطق والأقاليم أثرت في الفكر الإسلامي،ولعل أبرز دليل على ذلك تعدد المذاهب والاجتهادات والآراء الفقهية،استجابةً لخصوصية كل إقليم.

والمذهب المالكى الذي ينسب إلى إمام دار الهجرة مالك بن أنس– رحمه الله– من مذاهب أهل السنة والجماعة التي تحظى بالإجلال والتكريم في بلاد المسلمين قاطبة شرقها وغربها،ولكن له في الغرب الاسلامي بالذات شأن آخر؛فقد أقبل المغاربة والأندلسيون بشغف على المذهب المالكي منذ نشأته،ثم اتخذوه مذهباً رسمياً لدولهم، منذ عهد الأدارسة (١٧٢–٣٧٥هـ /٧٨٨– ٩٨٥ م)،ثم توطدت دعائمه،وترسخت جذوره في البيئة المغربية في عهد المرابطين.

وما كان اختيارهم للمذهب المالكي،وإقبالهم عليه خاصة دون سائر المذاهب،إلا لأنهم وجدوا فيه ضالتهم،وما كانوا يبحثون عنه من المرونة في معالجة كثير من القضايا الشائكة المستعصية،وما هو عليه من التيسير في أحكامه،وما يمتاز به من وسطية واعتدال.وما زال التدين المغربي أو الإسلام في المغرب مشهودًا له بأنه الأكثر اعتدالاً وتسامحًا من غيره،وأنه قائم على الوسطية والتوازن،ورفض أشكال التشدد أوالتطرف .

وقد أسهمت عوامل أخرى في انتشار المذهب المالكي في المغرب الإسلامي،منها–وفق كثير من المصادر– العامل السياسي المتمثل في دور السلطة وتحالف الأمراء مع الفقهاء،بل إن تلك المصادر ترى الدعوة المرابطية مشروعًا مالكيًا،وتجسيدًا لهموم الفقهاء في المغرب الأقصي،وصورة من صور ميلهم إلى العقيدة المبرأة من أساليب علم الكلام،الذي وقفوا منه موقفًا رافضًا متشددًا،بعد أن نظروا إليه بعين الريبة.

وعلى الرغم من الاتجاه التصاعدي في منحى انتشار المذهب المالكي في المغرب الأقصى منذ مطلع القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي، فقد ظل هذا الانتشار قليلاً محدودًا حتى أوائل القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي،حين شهد صحوة متميزة شكَّلت ظاهرة ذلك القرن، مما يستدعي تفسير هذه الصحوة وأبعادها والعوامل المحرِّكة لها.

ولم يكن انتشار المذهب السنّي في معظم جهات العالم الإسلامي في القرن٥هـ/١١م ،نتيجة صراع عسكري تقليدي ضد المذهب الشيعي–الذي كان بدوره قد اكتسح المجال الإسلامي في القرن الذي سبقه– بل عوَّلت القوى السنية في مقاومتها للتيار الشيعي وفي كسر شوكة الشيعة على أسلوب آخر،يتجلى في إنشاء المدارس النظامية[1]،وإفشال المخططات الشيعية السياسية. أدرك هذا الوزير السلجوقي نظام المُلك،الذي وعى أن تأسيس مثل تلك المدارس أكثر تأثراً من اللجوء إلى الحرب؛ لأنه يكفل– عن طريق الدعوة– نشر المذهب السّني، وتكوين جماعة من الفقهاء والدُعاة،وهو ما ليس ممكنًا بحد السيف، فضلاً عما يرجى من وراء تلك المدارس من إحياء للثقافة السنية.

(١)المدارس النظامية من أشهر المدارس التي بنيت في بغداد في منتصف القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي ،من قبل الوزير نظام الملك وزير السلطان السلجوقي آلب أرسلان (٤٥٥-٤٦٥هـ/١٠٦٣-١٠٧٢م) ،وكان الهدف من المدارس في المشرق الإسلامي هو مساندة مذهب أهل السنة أمام المذهب الشيعي الزيدي ،واستمرار هذا الوضع في ظل الحكم البويهي إلى أن جاء السلاجقة الذين اعتنقوا الإسلام على المذهب السني وحكموا العراق وفارس وما حولها . الطرطوشي (أبو بكر محمد بن الوليد بن محمد بن خلف(ت٥٢٠هـ) سراج الملوك،تعليق محمد فتحي أبو بكر،تقديم د. شوقي ضيف،الدار المصرية اللبنانية،القاهرة،١٩٤٤م،ج٢،ص٥١٦ السبكي (أبو نصر عبد الوهاب تقي الدين الأنصاري) طبقات الشافعية الكبرى،دار المعرفة،بيروت، د.ت،ج٣،ص٩٠،عماد بن عبد السلام رؤوف العطار،مدارس بغداد في العصر العباسي،دار البصري،بغداد،١٩٦٦م،ص١٠-١٢، عبد الكريم حتاملة،جهود نظام الملك في تأسيس المدرسة النظامية في بغداد والمدارس النظامية الأخرى ،بحث منشور جامعة اليرموك ،سلسلة العلوم لإنسانية والإجتماعية،٢٠٠٣م ،ص١٢١-١٢٢.

وفي ظل هذا المد السني،كان من الطبيعى أن يصل المذهب المالكي بقوة إلى بلاد المغرب والأندلس،مع التجار والتجارة،ومع الرحلات العلمية التي قام بها طلاب العلم من المغاربة والأندلسيين،ممن شدوا الرحال إلى الحجاز حيث الإمام مالك في المدينة أو إلى بغداد من أجل التتلمذ على أيدي المشارقة من شيوخ المدارس النظامية وغيرها،فكان هذا رافداً آخر من روافد الصحوة المالكية في بلاد الغرب الإسلامي.ومن أولئك الذين رحلوا إلى المشرق طلبًا لمزيد من العلم أبو علي الصدفي(ت ٥١٤هـ). [٢]، وأبو بكر الطرطوشي(ت ٥٢٠هـ) [٣]، وأبو بكر بن العربي (ت ٥٤٣هـ)[٤]، وغيرهم من العلماء الذين وجدوا المدارس النظامية في أوج إشعاعها، فتشبّعوا بآرائها،وعادوا إلى أقطارهم ولديهم رغبة كبيرة في نشر المذهب السنّي المالكي بكل وسيلة متاحة.

ومن الصعب فهم الصحوة المالكية في المغرب والأندلس خلال القرن ٥هـ/١١م ،إلا بالرجوع إلى الحقبة التي سبقتها؛ فمنذ عصر الأدارسة- الذي بدأ سنة ١٧٢هـ/٧٨٨م- أخذ المذهب المالكي في التسرّب إلى داخل المغرب. ولم يحاول الأمير إدريس الأول منع ذلك- مع أنه كان شيعيًّا زيديًّا- ولا حاول فرض مذهبه على أهل المغرب،وتركهم وما اختاروا،فاختاروا المذهب المالكي.بينما اتجه هو إلى القضاء على جيوب المذاهب الخارجية والزنادقة وغيرهم من أهل البدع في المغرب الاقصى.وسار ابنه إدريس الثاني(١٧٧-٢١٣هـ/٧٩٣-٨٣٨م) على النهج نفسه، فلم يدخل معركة خاسرة مع فقهاء المالكية، بل يُستشف من بعض النصوص أنه كان متعاطفاً معهم.

---

(٢)هو أبو علي حسين بن محمَّد بن فِيَّرة بن حيون بن سُكرة الصَّدَفي السرقسطي، المعروف بابن سكرة، ولد سنة (٤٥٢هـ)، وأخذ عن أبي الوليد الباجي بسرقسطة، وأبي محمَّد ابن عبد الله بن محمَّد بن إسماعيل، وأخذ عن شيخ المحدثين ببلنسية أبي العباس العذري، وبالمريَّة عن أبي عبد الله محمَّد بن سعدون القروي، وله رحلة إلى المشرق، أخذ العلم عن كبار مشايخ مكة وبغداد ومصر وغيرها.كان أبو علي الصدفي أحد العلماء البارزين في زمانه، برع في الحديث وطرقه ورجاله تعديلًا وتجريحًا، وكان حافظًا ضابطًا متواضعًا زاهدًا وَرِعًا، ولي القضاء بمرسية مكرهًا فترةً ثمَّ أعفي منه بعد اختفائه، وجلس للتعليم ونشره، ومن تلاميذه الذين روَوْا عنه: القاضي عياض، وابن صابر، والقاضي محمَّد بن يحيى الزكوي وغيرهم، خلَّف أبو علي كُتُبًا نفيسة، وفي ملحمة قُتَنْدَة استشهد سنة (٥١٤هـ).ابن بشكوال (أبو القاسم خلف بن عبد المالك(ت٥٧٨هـ)،الصلة ،ط١،تحقيق ابراهيم الابياري ، دار الكتاب ،القاهرة،١٩٨٩م،ج١،ص٢٣٥-٢٣٧، الضبي(أحمد بن يحيي بن أحمد بن عميرة(ت٥٩٩هـ)،بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، دار الكاتب العلمي،القاهرة، ١٩٦٧،ص ٢٦٩.

(٣)هو أبو بكر محمد بن الوليد بن محمد بن خلف الطرطوشي المشهور بابن أبي رندقة ولد في سنة ٤٥٠هـ أو ٤٥١هـ في مدينة طرطوشة واليها ينسب .وفي سنة ٤٧٦هـ غادر الطرطوشي وطنه وهو في الخامسة والعشرون من عمره ليبدأ رحلته الي المشرق فذهب الى مكه ثم بغداد وبلاد الشام ومصر ،وأخيرا نزل بالاسكندرية .كان الطرطوشي عالما بالفقه ومسائل الخلاف والاصول والفرائض والأدب ، فضلا عن كونه عاملا زاهدا ورعا دينا .ابن بشكوال ، الصلة ، ج٢ ،ص ٥٧٥، ابن فرحون (ابراهيم بن علي اليعمري ت٧٩٩هـ/١٣٩٦م)،الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب،تحقيق محمد الأحمدي أبو النور،دار التراث ،القاهرة،د.ت،ج٢،ص٢٤٤-٢٤٥ ، جمال الدين الشيال ،ابو بكر الطرطوشي ،دار الكاتب العربي ،دت، ص١٠-٢٠ .

(٤)هو أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد بن العربي المعافري الاشبيلي،ولد في اشبيلية سنة ٤٦٨هـ ،وصحب أباه في رحلته الي المشرق سنة ٤٨٥هـ،وكان حينذاك في السابعة عشر من عمره،وتتلمذ إبان هذه المرحلة على كبار علماء مصر والحجاز والشام والعراق،ففي بغداد حضر دروس أبا حامد الغزالي،وفي بيت المقدس لازم أبا بكر الطرطوشي قبل انتقاله إلى الإسكندرية واستقراره بها وتتلمذ عليه. ابن خلكان(أبو العباس شمس الدين احمد بن محمد بن أبي بكر (ت٦٨١هـ) وفيات الاعيان وأبناء الزمان ،دار انهضة المصرية ،القاهرة ،١٩٤٨،ج٦،ص١٢٧،ابن فرحون ، الديباج المذهب ،ص٩٥-٩٦ .

ويستدل على ذلك بأن عهده شهد تدفق موجة من الفقهاء المالكية الأندلسيين والقيروانيين إلى مدينة فاس، وكانت فرصة سانحة له لاجتذابهم اليه جميعاً.(5)

وكان من تأثيرات المذهب المالكي الواضحة في الحياة المغربية،تلك البساطة التي صبغت تلك الحياة بصبغتها،أم ترى العكس هو الذي حدث؟ هذا سؤال مهم ،يحاول هذا البحث الإجابة عنه،بتتبع ملامح البساطة المرابطية،ومحاولة تعليلها حضاريًّا،وتحليلها في هذا الإطار.

وفي ذلك السياق تسلط الدراسة الضوء على صفحة منسية من صفحات التاريخ الإسلامي،وخلق جميل من أخلاق المسلمين ،وصورة من صور الحضارة الإسلامية ،وأثر من آثار المذهب المالكي ،ألا وهو البساطة .وستكشف الدراسة عن مدى التشابه والتقارب بين معتقدي المذهب المالكي في بلاد المغرب الإسلامي وبلاد الحجاز من حيث السهولة والوضوح،ومن حيث الطبيعة البشرية الإنسانية التي تجمعهم ثقافة و فكر وبيئة واحدة،كما تكمن أهمية الدراسة في إبراز قيمة المذهب المالكي وأثره على مختلف الحياة المرابطية،إذ أغفل الباحثون المتخصصون في دراسة الحياة الاجتماعية والثقافية في عصر المرابطين عن هذا الخلق العظيم،وما ترتب عليه من آثار ،وستكشف الدراسة أيضا عن أثر المذهب المالكي السياسي والإجتماعي والفكري والعمراني والإقتصادي .

وارتكزت الدراسة على المنهج التاريخي القائم على الوصف والتحليل،والاستقراء، والاستنباط،والمصادر الأولية التي ذكرت في تاريخ و أحداث المغرب والأندلس السياسية والحضارية .

وقد قسمت الدراسة إلى مقدمة،وخمسة مباحث.وتتضمنت المقدمة موضوع الدراسة،وأهميتها ومنهجها وأهم مصادرها .وأفردت المبحث الأول لإلقاء الضوء بإسهاب على بساطة المذهب المالكي، وأثره على الحياة الدينية وخصصت المبحث الثاني في الحديث عن بساطة الحياة السياسية ،وعدم الصراع على تولية الحكم ،وأشرت في الميحث الثالث إلى بساطة الحياة الاجتماعية ،وتواضع المرابطين في المأكل ،والمشرب، والملبس ،والزواج ،والعلاج ثم تحدثت في المبحث الرابع عن بساطة العمران المرابطي، وعدم ميل المرابطين إلى الزخرفة وزينة الحياة. وعرضت في المبحث الخامس أثر المذهب المالكي على الحياة الاقتصادية، وإلغاء المكوس والضرائب وانتعاش الحياة الاقتصادية.وختمت الدراسة بخاتمة تُجمل اغراضها واستنتاجاتها،ثم أوردت ثبتا بالمصادر الأصلية وأمهات المراجع العربية والمعربة والأجنبية .

(٥) ابن أبي زرع((أبو الحسن علي بن عبد الله (ت ٧٢٦هـ) الأنيس المطرب بروض القرطاس في اخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس،تحقيق محمد الهاشمي الفيلالي ،الرباط،١٩٣٦م،٣٥-٣٨، ابراهيم القادري بوتشيش ، حلقات مفقودة من تاريخ الحضارة في الغرب الإسلامي ، دار الطليعة ، بيروت،٢٠٠٢م،ص٥٤-٥٥.

١- بساطة الحياة الدينية:

استقر الفتح الإسلامي وقويت دعائمه في المغرب العربي،فكانت لذلك آثاره الجلية في بنية المجتمع المغربي منذ القرن٢هـ/٨م. ثم شهدت تلك المنطقة تطورات سياسية متتالية منذ القرن٣هـ/٩م ،تفاعلت فيها فئات المجتمع المختلفة،وفي مقدمتهم فقهاء المالكية،الذين انتشر مذهبهم في البلاد،حتى سادها ،وساعدت على غلبة هذا المذهب عدة عوامل،على رأسها شخصية الإمام مالك المؤثرة،وطبيعة المذهب المالكي الذي يتسم بالبساطة والبعد عن التعقيد ،والجامع بين النقل والعقل،مع مرونة واضحة،وسعة مشهود له بها،مكنته من مواكبة كل تطور،واحتواء المستجدات في شتى مناحي الحياة(٦).

ولم تلبث أن نشأت في صحراء المغرب الأقصى الجنوبية في النصف الأول من القرن ٥هـ/١١م ،حركة دينية مهمة،هي حركة المرابطين،على يدي الداعية عبد الله بن ياسين(٧) الذي كافح طويلاً ليقيم الناس على نهج أسس الدين الصحيحة،ومبادئه السَّمحة البسيطة،ونجح بعد سنين من الدأب في تغيير وجوه حياة الناس في حياته وبعد مماته لفترة طويلة في المغرب العربي كله وفي الأندلس،حيث امتدت الدولة المرابطية باسطة نفوذها على تلك الرقعة الواسعة من العالم الإسلامي.

ووجد المرابطون بغيتهم في المذهب المالكي؛فهو مذهب نقي،يخلو من البدع،ويدعو إلى محاربة أهل البدع والأهواء(٨)،وعند أهل المغرب بصفة عامة- والمرابطين بصفة خاصة- خوف من الانزلاق في مهاوي الضلالة،وكانوا يبايعون أمراءهم على كتاب الله وسنة رسوله(٩)؛ثم إن المذهب المالكي يعتد بالعُرف،ويراه معتبرًا ،وهذا يكفل الحيلولة دون مصادمة بعض العادات المتأصلة فيهم،كما أنه يدعو إلى الالتزام بالنص والأثر والرواية،وتضييق العمل بالقياس ما أمكن،وتضييق دائرة القياس معناه النأي عن النظريات الفكرية

(٦)الترمذي(محمد بن عيسى بن سورة ت ٢٧٩ هـ/ ٨٩٢ م): سنن الترمذي، تحقيق: أحمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ،ج٥،ص٤٧

(٧)عبد الله بن ياسين بن مكول بن على صاحب دعوة المرابطين _ ذكر بعض المؤرخين أنه ينتسب إلى قبيلة جزولة الضاربة في أقصى المغرب قرب جبال درن، ولد في قرية تياماناوت في طرف صحراء مدينة غانة،أي في أحواز مدينة أودغشت .البكري(أبو عبيد الله بن عبد العزيز(٤٨٧هـ)،كتاب المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب،ط٢،وهو جزء من كتاب المسالك والممالك ،تحقيق،دي سلان،باريس، ١٩١١م ،ص١٦٥.القاضي عياض (أبو الفضل بن موسي ت٥٤٤هـ/٩٢٣م)،ترتيب المدارك وتقريب المسالك ،ط١،تحقيق سعيد أحمد أعراب ، مطبعة فضالة لمحمدية، المغرب،١٩٨١-١٩٨٣م ،ج٤ ،ص١٨٠.ابن خلدون(ولي الدين أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الحضرمي):كتاب العبر وديوان المبتدأ و الخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان،دار الكتاب اللبناني،بيرون،١٩٦٠م ،ج٦، ص٣١٤.وراجع أيضًا التفاصيل في، حسن أحمد محمود ، قيام دولة المرابطين، صفحة مشرقة من تاريخ المغرب في العصور الوسطي ، دار الفكر العربي،القاهرة، دت، ص١١٤.

(٨)نجم الدين الهنتاتي،المذهب المالكي بالغرب الإسلامي إلى منتصف القرن الخامس الهجري،الحادي عشرالميلادي،دار تبر الزمان،تونس،٢٠٠٤م،ص ٦٤.

(٩)عمر الجيدي، مباحث في المذهب المالكي بالمغرب،منشورات عكاظ،طبع في المغرب،١٩٩٣ م .ص ٣٦.

المتطرفة،والتأويلات المتكلفة البعيدة،والميل إلى البساطة والوضوح وعدم التعقيد،وهذا كله يجعله مذهبًا اجتماعيًّا أيضًا،يلائم فطرة أهل المغرب[١٠]،والبداوة الغالبة عليهم،ومشابهة ظروفهم لظروف بيئة الحجاز كما يرى ابن خلدون[١١].ويذكر الناصري:"فبعد أن طهرهم الله تعالى من نزعة الخارجية أولاً والرافضة ثانيًا،وأقاموا على مذهب أهل السنة والجماعة،مقلدين للجمهور من السلف،فأصبح شيوع المذهب المالكي عندهم عادة وفطرة لا تحتاج إلى دليل"[١٢].

ورفض بعض الباحثين المحدثين تعليل ابن خلدون لذيوع المذهب المالكي في المغرب بمشابهة المغرب الحجاز في البداوة؛قائلين إن مذهب مالك نشأ أول ما نشأ في المدينة المنورة،والمدينة لم تكن من البداوة في شيء،ولا كان أهلها بدوًا[١٣].وتأوَّل آخرون كلمات ابن خلدون،قائلين إنه يعني بالبداوة التشبث بالتقاليد والحفاظ عليها،ومقاومة الذوبان في الحضارة الطارئة الوافدة،لا البداوة بمعنى التخلف وخشونة الطبع[١٤]،وعلى هذا حملوا قول ابن خلدون إذ قال إن" مذهب الإمام مالك خلال هذه الفترة غضًّا لم تدخل فيه الحضارة وتهذيبها"[١٥]،وقالوا إنه كان بهذا أول مؤرخ يفطن إلى ملاءمة المذهب المالكي لعقلية المغاربة ؛لسهولته ،وبساطته،وميلهم الفطري للسهولة والبساطة[١٦].

وعلى هذا اتبع المرابطون مذهب الإمام مالك ،وجعلوه في بيعتهم مع الكتاب والسنة عند قيام دولتهم الناشئة.ويؤكد هذا قول المراكشي:"ولم يكن يقرب من أمير المسلمين ويحظى عنده إلا من علم علم الفروع،أعني فروع مذهب مالك،فنفقت في ذلك الزمان كتب المذهب،وعُمِل بمقتضاها،ونُبِذَ ما سواها،وكثُر ذلك حتى نُسِيَ النظر في كتاب الله وحديث رسول الله– صلى الله عليه وسلم–فلم يكن أحد من مشاهير أهل ذلك الزمان يعتني بهما كل الاعتناء"[١٧].

---

(١٠)عمر الجيدي، المرجع السابق، ص٣٦ . نجم الدين الهنتاتي، المذهب المالكي بالغرب الاسلامي ، ص ٦٤-٦٥ .

(١١)ابن خلدون ،كتاب المقدمة،تحقيق عبد الواحد وافي،لجنة البيان العربي،١٩٥٣ م ،ج٣ ص ١٠٣٠-١٠٣١.

(١٢)الونشريسى (أبو العباس أحمد بن يحيى (ت٩١٤هـ)المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء افريقية والأندلس والمغرب، اشراف محمد حجي ،دار الغرب الاسلامي ، نشر وزارة الاوقاف ،بيروت ،١٩٨١م ،ج،٢ ص١٦٩.

(١٣)نجم الدين الهنتاتي ،المرجع السابق، ص٧٦-٧٨.

(١٤)عمر الجيدي ،محاضرات في تاريخ المذهب المالكي في الغرب الإسلامي، منشورات عكاظ ،الدار البيضاء ،١٩٨٧م، ص ١١

(١٥)ابن خلدون، المقدمة ، ج٣،ص١٠٢٠-١٠٢١.

(١٦)آنجل جنثالث بالنثيا ، تاريخ الفكر الأندلسي،نقله عن الإسبانية حسين مؤنس،مكتبة الثقافة الدينية ، د.ت، ص ٤١٥-٤١٦، ابراهيم القادري بوتشيش،نشأة المدرسة المالكية بالمغرب والأندلس ،ص ٢-٤.

(١٧)المراكشي (عبد الواحد بن على ت٦٢٥هـ)المعجب في تلخيص أخبار المغرب،تحقيق محمد زينهم محمد عزب،دار الفرجاني للنشر والتوزيع،دط،دت ،ص ١٧٢.

وكما أقبل المرابطون على مذهب الإمام مالك،نبذوا بصرامة علم الكلام ومذهب الأشاعرة،فيتحدث المراكشي عن فترة حكم علي بن يوسف (٤٧٦-٥٣٧ هـ/١٠٨٣-١١٤٣ م) بقوله:"ودان أهل ذلك الزمان بتكفير كل من ظهر منه الخوض في شيء من علوم الكلام؛لكراهة السلف له،وهجرهم من ظهر عليه شيء منه ،وأنه بدعة في الدين،فكان يُكْتَبُ عنه في كل وقت إلى البلاد بالتشديد في نبذ الخوض في شيء منه،وتوعد من وُجِد عنده شيء من كتبه"[١٨]،كما صدرت أوامر أمير المسلمين علي بن يوسف بحرق كتاب إحياء علوم الدين للغزالي في مدن المغرب والأندلس كافة[١٩]-وفي رواية المراكشي أن الأمر كان بإحراق كتب الغزالي كلها[٢٠]-فأحرق في أفنية المساجد الكبيرة،في قرطبة ومراكش،وغيرهما من حواضر المغرب والأندلس[٢١] وفي رواية ابن القطان أوضح أنه :"في اول عام ٥٠٣هـ عزم علي بن يوسف عن اجماع قاضي قرطبة أبي عبد الله محمد بن علي بن حمدين وفقهائها -على احراق كتاب أبي حامد الغزالي رحمه الله تعالى المسمى"الاحياء " فأحرق في رحبة مسجدها الجامع على الباب الغربي على هيئته بجلوده بعد اشباعه زيتا، وحضر لذلك جماعة من أعيان الناس،ونفذت كتبه الى جميع بلاده آمرا باحراقه حيثما وجد،واخذت منه نسخ من أيدي اصحابها كان معول الغزالي عليها .... [٢٢].

ويمكن فهم الموقف السياسي والفكري الداعم للمذهب المالكي في دولة المرابطين من خلال قول ابن حزم (القرن ٥هـ/١١م) الذي مفاده ان مذهبين انتشرا في بدء أمرهما بالرياسة والسلطان وهما مذهب أبي حنيفة،ومذهب مالك بن أنس[٢٣] كما يتضح مما تقدم أن العوامل التي أدت إلى تواري مذهب الأشعرية في الإسلام المرابطي،هي التي كانت فاعلة في التمكين للمذهب المالكي في الصحراء،أو العكس؛فالمذهب المالكي يعارض الرأي والاشتغال بعلم الكلام؛سدًّا للذرائع،وهذا جعله مرادفًا في عقول المرابطين لعقيدة السلف،والعقد الفكري الذي قبله أهل الصحراء لبساطته ووضوحه،قبل أن يتبينوا نقيضه،أعني الأفكار الأشعرية.

وتحلى حكام المرابطين وأمراؤهم بأخلاق ميزتهم عن سائر الحكام والأمراء،أخلاق اقتدوا بالخلفاء الراشدين، فكانوا مثالاً للزهد،وللبساطة.والبساطة منهج إسلامي أصيل،يستمد أصوله ودعائمه من كتاب الله وسنة

---

(١٨)المراكشي ،المصدر السابق،ص ١٥١.

(١٩)ابن القطان (أبو محمد حسن الكتامي المراكشي (ت ق٧هـ/١٣م) نظم الجمان،ط١، تحقيق د. محمود علي مكي، دار الغرب الإسلامي، بيروت. لبنان، ١٩٩٠م ،ص ١٤-١٥ السلاوي الناصري (الشيخ أبو العباس أحمد بن خالد الناصري (١٣١٥هـ) الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى (الدولتان المرابطية والموحدية)،تحقيق جعفر الناصري ومحمدالناصري ،دار الكتاب ، الدار البيضاء ، ١٩٥٤م، ج٢ ،ص ٧٥.

(٢٠)المراكشي، المصدر السابق ،ص ١٧٣ .

(٢١)السلاوي ، المصدر السابق ،ج٢ ،ص٧٥. الكناني(محمد المنتصر) الغزالي والمغرب : بحث ضمن مقالات وابحاث ألقيت في مهرجان دمشق المجلس الاعلي ١٩٦٥م، ص ٧٠٧ .

(٢٢)ابن القطان ،نظم الجمان ،ص١٤

(٢٣)ابن حزم(أبو محمد على بن أحمد بن سعيد (ت٤٦٥هـ)رسائل ابن حزم الأندلسي،ط٢ ،تحقيق احسان عباس،المؤسسة العربية ،بيروت،١٩٨٧م،ج٢،ص٢٢٩.

نبيه–صلى الله عليه وسلم– وفيهما البساطة واضحة تماما،وخطاب العقل يتناغم مع مراعاة بساطة الفطرة الإنسانية دونما تكلف أو تعقيد هدفه أن يبرأ الناس من متاهات التعقيد الوثنية إلى واحة التوحيد.

ويمكن القول أن القرن ٥هـ/١١م هو قرن البساطة ؛إذ سيطر فيه رعاة الخيل السلاجقة الأتراك على مشرق العالم الإسلامي،وتدفقت قبائل العرب البدوية – من بني سليم وبني هلال–[٢٤]من صحراء مصر الشرقية والصعيد نحو بلاد المغرب،وحكمت دولة المرابطين من قبيلة لمتونة البربر معظم المغرب والأندلس[٢٥].

٢– بساطة الحياة السياسية:

وكانت بداية المرابطين مع يحيى بن إبراهيم الجدالي[٢٦]،ذلك الأمير الصنهاجي،الذي أراد أن يواصل مسيرة الاصلاح والتجديد الديني وأن يخرج قومه من ظلمات الجهل والضلال إلى النور و الاصلاح،فاستعان بالعالم الفقيه عبد الله بن ياسين.لكن الصنهاجيين واجهوه بالعناد،وأصروا على ما هم فيه من البعد عن طريق الشريعة القويم،فرحل عنهم عبد الله بن ياسين،وفي نفسه ما فيها من الأسى لحالهم والحزن عليهم؛ليبدأ مرحلة جديدة من مراحل دعوته،هي مرحلة الرباط.

وآثر الأمير يحيى بن إبراهيم الجدالي الرحيل مع ابن ياسين،مضحيًّا بمكانته في قومه،عازفًا عن متاع الدنيا ومقبلاً على الآخرة،كما أشار الأمير يحيي علي الفقيه عبد الله بن ياسين بالدخول الى جزيرة [٢٧]في البحر

(٢٤)بنو هلال وبنو سليم من قيس عيلان،ويجمعان في منصور ابن عكرمة بن خصفه بن قيس عيلان بن مضر،يقيمون في المنطقة الممتدة بين الطائف ومكة،وبين المدينة ونجد، وشاركوا في الفتوحات الإسلامية،إلا إنهم احتفظوا بثقلهم وطابعهم البدوي في الجزيرة العربية حتى تاريخ هجرتهم ٤٤٠هـ واستقرت في شمال افريقيا،وشاركت في الحروب والفتوحات التي قامت في المنطقة،وفي حوض المتوسط،وكان لها الأثر في تعريب شمال افريقيا ،القلقشندي(أبو العباس أحمد بن على(ت٨٢١)" نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب "تحقيق ابراهيم الأبياري،طبع القاهرة ،١٩٥٨م، ص٣١٦، الهمداني(لسان اليمن الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني ت٣٣٤هـ)صفة جزيرة العرب،تحقيق د. محمد بن علي الأكوع الحوالي،طبع القاهرة ،١٣٩٧هـ ،ص ٢٧٤.

(٢٥)وأهم سمات أهل الصحراء أنهم رعاة إبل،يجوبون الصحراء الشاسعة،الممتدة لآلاف الكيلومترات؛وراء الماء والكلأ لإبلهم؛وسعيًا وراء الرزق.وبذلك أصبح الجمل سيد الصحراء بلا منازع،وهم من ورائه،يأكلون لحوم الإبل مطهوة،وقديدًا مجففة ثم مطحونة،ويشربون ألبان الإبل،ويأتدمونها،وينسجون أوبار الجمال ملابس،ويتخذون من جلودها نعالاً وأدوات للمنزل .سعد زغلول عبد الحميد،تاريخ المغرب العربي من الفتح الي بداية عصر الاستقلال،منشأة المعارف الاسكندرية، ١٩٧٩م،ص٧٤.

(٢٦)يحيى بن إبراهيم الجدالي،هو من قبيلة جدالة ، إحدى قبائل صنهاجة ،لم تشر المصادر نشأته الأولى ولا حتى سنة ولادته ،كما لم تذكر أيضا تاريخ وفاته ،إذ أن أغلب المصادر ربطت ترجمته،انطلاقا من سنة ٤٢٧هـ–١٠٣٥م وهي السنة التي رحل فيها الأمير يحيى لأداء فريضة الحج ،تاركا الحكم لابنه إبراهيم .واجتاز في إيابه على مدينة القيروان عام ٤٤٠هـ فحضر بها مجالس العلم .المراكشي،المصدر السابق،ج٤،ص٢٥،خير الدين الزركلي ،قاموس تراجم أشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين،١٩٨٦،ج٢،ص١٦٦.حمدي عبد المنعم حسين،التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والاندلس في عصر المرابطين ،دار المعرفةالجامعية،الإسكندرية،١٩٩٧م،ص٥٥

(٢٧)والغالب أن هذه الجزيرة كانت على مصب نهر السنغال،حيث توجد بعرضه جزر صغرى أقاموا رابطهم بإحداها.ابراهيم حركات المغرب عبر التاريخ ،دار الرشاد الحديثة،الدار البيضاء، ٢٠٠٠م، ج١، ص ٢٤١.

حيث يوجد بها الكثير من متاع الدنيا الحلال،من أشجار وصيد للبحر والبر، طالبا منه التعبد بها حتى الممات.فوافقه على ذلك ،ودخلاها ومعهما نفر من قبيلة جدالة الصنهاجية[٢٨].

ضرب ابن ياسين في هذا المكان خيمته البسيطة المتواضعة،وأقام رباطًا[٢٩]سرعان ما صار مقصدًا للراغبين في طلب العلم والتفقه في الدين،واستقطب أبناء قبائل صنهاجة،وبلغوا ألفًا من التلاميذ،فنظمهم عبد الله بن ياسين تنظيمًا محكمًا،على رأسه مجلس للشورى،مكون من جماعة الحل والعقد،وسمى جماعته هذه المرابطين.ويبدو أن عبد الله بن ياسين كان يعلمهم ذلك باللغة البربرية [٣٠]ومن الطبيعي ان يكون تصريف شؤون الرباط طبقا لأحكام المذهب المالكي الذي كان يتبعه عبد الله بن ياسين .وعاش المرابطون عيشة زهد وتقشف،وتقلل من الدنيا،قانعين بما خشن من الثياب،وما قلَّ من الطعام،مما يصيدونه من منطقة رباطهم ذات الصيد الوفير،ويحيون حياة مثالية،قائمة على التعاون في كل شيء[٣١].

عقب مقتل يحيى بن عمر في سجلماسة[٣٢]،بدأ عهد أخيه الأمير أبي بكر بن عمر،سنة ٤٤٨هـ/١٠٥٦م[٣٣]،الذي يصفه ابن أبي زرع بأنه كان رجلاً ورعًا صالحًا،متواضعًا،يقيم الحدود،ويقف عند محارم الله،ويحث الناس على التمسك بأهداب الشريعة،مع صحة اعتقاد وسلامة دينه[٣٤].وفي تلك الأثناء نشبت فتن بين قبائل المرابطين في جنوب المغرب الأقصى،فأسرع الأمير أبو بكر بن عمر لإخمادها، تاركًا مقاليد حكم بلاد

(٢٨)يوافق هذا الوصف للجزيرة،وصف ابن خلدون لها بقوله:"يحيط بها النيل(يقصد:النهر)،ضحضاحًا في الصيف،يخاض بالأقدام،وغمرًا في الشتاء يُعبَر بالزوارق"، تاريخ ابن خلدون، ج٦،ص١٨٣.

(٢٩) الرباطات هي أبنية ذات خاصتين إحداهما حربية والثانية دينية، وتُطلَق كلمة "مرابط" على من خرج إلى الثغور للدفاع عن بلاد المسلمين،وصد أعدائهم.واطلق المسلمون على الثغر أو المكان الذي يقيمون فيه اسم الرباط ، ولكن المقصود هنا الرباط الذي يتعلق بالجهاد في سبيل الله عن طريق التعبد ، أحمد مختار العبادي ، دراسات في تاريخ المغرب والأندلس ،ط١، الأسكندرية،١٩٦٨م، ص ٣٠٠

Nehemia Levtzion, "Abd Allah b. Yasin and the Almoravids", in: John Ralph Willis, *Studies in West African Islamic History*, p. 54.

P. F. de Moraes Farias, "The Almoravids: Some Questions Concerning the Character of the Movement", *Bulletin de l'IFAN*, series B, 29: 3-4 (794-878), 1967.

(٣٠)ابن ابي زرع ،الأنيس المطرب بروض القرطاس ،ص١٢٥

(٣١)دائرة المعارف الاسلامية ،ط٢،مادة رباط،احمد الشنتناوى ،ابراهيم زكي خورشيد،عبد الحميد يونس،مطبعة الشعب ،القاهرة ١٩٦٩م، ص ١٩.

(٣٢)ابن الخطيب(الوزير محمد لسان الدين ت(٧٧٦هـ) تاريخ المغرب العربي الوسيط القسم الثالث من كتاب اعمال الاعلام ،تحقيق وتعليق الدكتور احمد مختار العبادي ،والاستاذ محمد ابراهيم الكتاني ،نشر وتوزيع دار الكتاب الدار البيضاء ،١٩٦٤م ،ص٢٣١ .

(٣٣)أبو بكر بن عمر بن تلاكاكين اللمتوني،تولى زعامة المرابطين بعد موت أخيه يحيي،وأستولى على كثير من القبائل والاقاليم،واستخلف ابن عمه يوسف بن تاشفين سنة ٤٦٣هـ،ثم تنازل له عن الحكم،توفي أبو بكر في بعض المعارك ببلاد السودان سنة ٤٨٠هـ، لما توفي أخوه الامير يحي بن عمر ولي عبد الله بن ياسين مكانه أخاه ابا بكر بن عمر في ٤٤٨هـ،السملالي(العباس بن ابراهيم)،الاعلام بمن حل بمراكش و أغمات من الأعلام ،ط١،المطبعة الملكية ، الرباط ، ١٩٩٣م،ص: ١٩٦ ، ٢٠٤.

(٣٤)روض القرطاس،ص٨٢.

المغرب لابن عمه يوسف بن تاشفين[٣٥]،فعقد له على المغرب،واتفق على تقديمه أشياخ المرابطين؛لما يعلمون من دينه وفضله ،وشجاعته،وحزمه،وعدله،وسداد رأيه[٣٦].

ولا شك أن كيفية ترك أبي بكر الحكم ليوسف تعتبر مظهرا من مظاهر البساطة عند المرابطين؛إذ لم يكتف بأن أوكل إليه الحكم،فحرص على دعمه بتأييد شيوخ المرابطين.ليس هذا وحسب،وإنما تخبرنا المصادر التاريخية بأنه لما عزم على المسير إلى الصحراء طلَّق زوجته(زينب النفزاوية)،ونصحها بأن تتزوج من ابن عمه يوسف بن تاشفين إذا ما نقضت عدتها! [٣٧] قائلاً: أنت امرأة جميلة بَضَّة،لا طاقة لك بحرارة الصحراء،وإني مطلِّقُكِ،فإذا انقضت عدتك فانكحي ابن عمي يوسف ابن تاشفين[٣٨].

وفي رواية أخرى لابن عذارى،تأتي القصة ببعض الاختلاف- وإن كانت المحصلة واحدة-؛إذ يقول ابن عذارى إن أبا بكر لما عزم على حركته تلك،قال لزوجه زينب:"إني مسافر منك برسم الفتن والحروب،ولا يمكنني أن أمشي عنك وأنت في عصمتي،فإن أنا مت كنت مسئولاً عنك.والرأي أن أطلقك،فقالت له:الرأي السديد ما تراه.فطلقها،فذكروا أنه قال لابن عمه يوسف بن تاشفين:تزوجها؛فإنها امرأة مسعودة.وقيل:هي التي طلبت منه طلاقها،فأسعفها بذلك[٣٩].

وعاد الأمير أبو بكر بعد أن أخمد الفتنة،وفاجأت عودته يوسف بن تاشفين،لكن ما يهمنا في هذا الصدد أن نرصد كيف كان لقاؤهما بسيطًا شكلاً ومضمونًا ،ويصور لنا ابن عذارى هذا اللقاء حينما بعث الأمير ابو بكر إلى يوسف يُعلمه بوصوله إليه ،فخرج يوسف من مراكش ،لمقابلته في منتصف الطريق، فسلَّم عليه ثم نزلا إلى الأرض، وقعدا على برنُسٍ بُسطَ لهما في ذلك المكان،فتكلم الأمير أبو بكر مع يوسف في مصالح المسلمين،ثم خلع ولاية بلاد المغرب له،لانه لم يرى من هو افضل منه لتوليتها وأنه بالفعل أحق بها [٤٠].

وهكذا تم التراضي بين الرجلين ببساطة شديدة،على أن يتقاسما قيادة الجهاد:أحدهما في الجنوب،وعلى رأسها أبو بكر بن عمر،والآخر في الشمال،ويتولاها يوسف بن تاشفين.وكان الاتفاق بينهما في مشهد بسيط،على بساط -أو برنس- بُسط لهما على الأرض،جلس عليه يوسف وأبو بكر في الوسط،ومن حولهما ،وخلفهما جلس

(٣٥)ابن الخطيب،المصدر السابق،ص ٢٣١ ،كارل بروكلمان،تاريخ الشعوب الاسلامية،ط٥،ترجمة نبيه أمين فارس،منير البعلبكي،دار الملايين بيروت، ١٩٦٨م ،ص٣١٨-٣١٩.

(٣٦)السلاوي،الاستقصا،ج٢،ص٢٢ -٢٣.

(٣٧)ابن عذاري(أبو عبد الله المراكشي (ت٧٠٦هـ) البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب،تحقيق ومراجعة الدكتور إحسان عباس،دار الثقافة،بيروت، لبنان، ١٩٨٠،ج٤،ص٢٢ .

(٣٨)ابن أبي زرع ،المصدر السابق،ص٨٦. ابن خلدون ،العبر ،ج٦، ص ١٨٣.السلاوي، الاستقصا،ج١،ص ١٠٥.

(٣٩)ابن عذارى:المصدر السابق ،جـ٤، ص١٨، ١٩.

(٤٠)ابن عذاري ،نفسه، ج٤ ،ص٢٤ -٢٥ .

الرجال في صفوف.تنازل أبو بكر بن عمر ليوسف بن تاشفين ،وتقاسما الرجال،ومضى كل واحد منهما لشأنه،وكأنما ليس الأمر أمر مملكة يتنافسانها،وحكم يتفاوضان بشأنه! [٤١].

ومن المرجح أن أبا بكر بن عمر لما رأى من قوة يوسف بن تاشفين،وكثرة رجاله،لم يُرد أن تنشب فتنة بين المسلمين،وآثر أن يتنازل عن الحكم لمن هو أكفأ وأقوى وأمهر،فتنازل لابن عمه طواعية،وعاد بنصف الجيش إلى الصحراء،حيث عاش هناك مجاهدًا في بلاد السودان،الى أن توفي في عام ٤٨٠هـ/١٠٨٧[٤٢].

هكذا كان النظام السياسي في أوائل دولة المرابطين يتسم بالبساطة والسلاسة،لا تشوبهما شائبة تعقيد ولا تكلف،ولا صراعات على السلطة. المهم المصلحة العامة،والنصح للإسلام والمسلمين،دونما التفات لمآرب شخصية[٤٣].وربما ساعد في ذلك انقياد أمرائهم لفقهاء المالكية[٤٤]،واعتمادهم نظام الشورى –لا التوريث– في اختيار الأمير[٤٥]،برعاية أولئك الفقهاء،وتحت إشرافهم. وليس هذا غريبًا على دولة المرابطين؛فهي دولة البساطة منذ نشأتها،يُخْتار قادتها وأمراؤها وفق مزيج من بساطة نظام الشورى،والأعراف القبلية البدوية لاختيار الرؤساء،بالنظر إلى السن،ورجاحة العقل،والشجاعة وغير ذلك من الصفات الحميدة التى ينبغي أن يتحلى بها الحاكم ،وكان هذا في أول عصر المرابطين على الأقل،حين بايع عبد الله بن ياسين يحيى بن عمر بالإمارة؛لما رآه من إخلاصه للدعوة وحماسه لها،ومات يحيى فخلفه أبو بكر بن عمر،الذي تنازل بعد حين عن الحكم لابن عمه يوسف بن تاشفين.وبعد يوسف تغير النظام،وانتقلت الإمارة بين أبنائه وراثيًّا [٤٦]،بعد أن كان الجيل الأول من المرابطين أبعد ما يكون عن النظام الوراثي في الحكم.

هذه البساطة في اختيار الحاكم،وهذا العزوف عن توارث الحكم أوائل العصر المرابطي،أكسب الدولة قوة،والناس حرية في اختيار الأكفأ أميرًا عليهم[٤٧].ولم يكن الأمر صدفة،وإنما كان أمرًا متعمّدًا مقصودًا منذ البداية،عملاً بوصية زعيمهم الروحي عبد الله بن ياسين،حيث أوصاهم بقوله:"إياكم والمخالفة والتحاسد على

(٤١)حسين مؤنس، تاريخ المغرب وحضارته،العصر الحديث للنشر والتوزيع ، ١٩٩٢م،ص٥٥ .

(٤٢)شوقي أبو خليل، الزلاقة بقيادة يوسف بن تاشفين،ط٢، دار الفكر للطباعة للطباعة والتوزيع، دمشق، ١٩٨٠م، ص٢٦.

(٤٣)ابراهيم حركات ،النظام السياسي والحربي في عهد المرابطين ،مكتبة الوحدة العربية،الدار البيضاء المغرب،١٩٦٢م، ص ٥٤.

(٤٤)محمد عابد الجابري ،تكوين العقل العربي، ط٨،مركز دراسات الوحدة العربية ،بيروت ،٢٠٠٢ م ،ص ٣١١.

(٤٥)ابن عذاري، المصدر السابق ،ج٤، ص ١٢ –١٥.

(٤٦)حسن أحمد محمود : قيام دولة المرابطين ، ص ٣٤٣–٣٤٤.

(٤٧)حمدي عبد المنعم حسين، تاريخ المغرب والاندلس في عصر دولة على بن يوسف المرابطي ،نشر مؤسسة شباب الجامعة ، الاسكندرية ، ١٩٨٦م، ص ٢٤٧.

الرياسة؛فإن الله يُؤتي ملكه من يشاء،ويستخلف في أرضه من أحب من عباده.ولقد ذهبتُ عنكم،فانظروا من تقدمونه منكم،يقوم بأمركم،ويقود جيوشكم،ويغزو عدوكم،ويقسم بينكم فيأكم،ويأخذ زكاتكم وأعشاركم"(٤٨).

وفي الجيل الثاني من المرابطين لم يغب هذا المبدأ أيضًا؛فحين مات ولي العهد سير بن علي بن يوسف بن تاشفين (٥٣٣هـ/١١٣٩م)،طلب أشياخ المرابطين من أبيه أمير المسلمين علي بن يوسف أن يسمي وليًّا جديدًا للعهد،فقال لهم:"اجتمعوا،واختاروا لأنفسكم،واتفقوا على من ترضونه"،وقصد بذلك الاستيثاق في أمر تاشفين.فلما اجتمع الناس في المسجد الجامع الكبير في الحاضرة مراكش،وتشاوروا فيمن يختارونه،ومن عليه تجتمع كلمتهم،قالوا جميعًا بصوت واحد:"تاشفين تاشفين"(٤٩).

ثم تظهر البساطة،ويبدو التواضع مرة أخرى،حين اشتد المرض بأمير المسلمين علي بن يوسف (٤٧٦-٥٣٧ هـ/١٠٨٣-١١٤٣ م)،وأحس بأنه مشرف على الموت،أوصى- بعد تجديد البيعة لابنه تاشفين(٥٣٧ - ٥٣٩ هـ / ١١٤٣ - ١١٤٥ م) -أن يُدفَن في قبور عامة المسلمين،فدُفن بها ونفذت وصيته(٥٠).

وكانت السمة العامة لحكام المرابطين وقادتهم،الزهد؛والاقتداء بالخلفاء الراشدين،منذ عبد الله بن ياسين،الذي تدل سيرته كلها على أنه كان من أهل الزهد في الدنيا،والعزوف عن ملذاتها الفانية،ومرورًا بأبي بكر بن عمر،الذي تنازل عن سلطانه العظيم الممتد طوعًا لابن عمه،ثم يوسف بن تاشفين،الذي يُشبهه المؤرخون بالخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز في زهده وورعه،حتى إنه بعد انتصاره على النصارى الأسبان والقشتالين في معركة الزلاقة (٤٧٩هـ/١٠٨٦م) لم يقرب الغنائم،ولا أخذ منها شيئًا-على كثرتها- وإنما تركها لأمراء الطوائف في الأندلس يقتسمونها،قائلاً إنه لم يخرج إلا للجهاد،ولا حاجة له في الغنائم! فشكروا له حسن صنيعه،وأجلُّوه لذلك (٥١).

ولعل الرصد لنظام الحكم أو النظام السياسي عند المرابطين يتطلب أيضا الحديث عن الألقاب.وقد تنوعت ألقاب ولاة الأمر في المغرب الأقصى في دولة المرابطين،فلُقِّب أبو بكر بن عمر بأمير المسلمين،حين خلف أخاه يحيى بن عمر في الحكم(٥٢).يقول النويري:"فأتوا (يعني:عبد الله بن ياسين ومن معه) أبا بكر بن عمر،فأجاب،وعقدوا له راية،وبايعوه بيعة الإسلام،وتبعه زمرة من قومه،وسماه عبد الله بن ياسين أمير

(٤٨)ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب بروض القرطاس ، ص٩٠.

(٤٩)ابن عذارى،المصدر السابق،جـ٤ ص٨٤.

(٥٠)ابن عذارى،نفسه ،جـ٤ ،ص٨٧.

(٥١)السملالي، الاعلام بمن حل بمراكش و أغمات من الأعلام ،ص٢١٠.

(٥٢)ابن سعيد(محمود بن سعيد مقديش)،نزهة الانظار في عجائب التواريخ والأخبار،ط١،تحقيق على الزواري ،محمد محفوظ،دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان،١٩٨٨م،ج١،ص٤٣٢.

المسلمين"[٥٣].ثم لمَّا تولى يوسف بن تاشفين،واتسعت دولته،وعظُمَ سلطانه في المغرب والأندلس،اجتمع به أشياخ المرابطين؛ليحثوه على التلقب بلقب الخليفة،فأبى إلا التمسك بلقبه الأول:أمير المسلمين،ويصور لنا ابن الخطيب هذا بقوله:

"ويوسف بن تاشفين كان يُدعى بالأمير،فلما تضخمت مملكته،واتسعت عمالته،اجتمعت إليه أشياخ قبيلته وأعيان دولته،وقالت له:أنت خليفة الله في أرضه،وحقك أكبر من أن تُدعَى بالأمير،بل ندعوك بأمير المؤمنين،فقال لهم:حاشا لله أن نتسمَّى بهذا الاسم،إنما يتسمى به خلفاء بني العباس؛لكونهم من تلك السلالة الكريمة؛ولأنهم ملوك الحرمين مكة والمدينة،وأنا راجلهم ،والقائم بدعوتهم،فقالوا:لابد من اسم تمتاز به،فأجاب إلى أمير المسلمين وناصر الدين،فخُطِب له بذلك على المنابر"[٥٤].

وهكذا يؤكد ابن الخطيب على بساطة ابن تاشفين،وعزوفه عن الألقاب ،واكتفائه بلقب أمير المسلمين وناصر الدين[٥٥].أما الخلافة فلبني العباس لأسباب أبداها للمرابطين،ورآها مقنعة،على الرغم من اتساع دولته،وقوة ملكه.

٣- بساطة المرابطين في الحياة الاجتماعية:

أمدتنا المصار التاريخية بمعلومات وفيرة عن حياة المرابطين الاجتماعية وأحوالهم فيها.ومن تلك المعلومات يظهر أن الجيل الأول من المرابطين تشبثهم بإرثهم الصحراوي،من بساطة العيش،وخشونته،والتقشف فيه،والبساطة في كل شيء،في المأكل والمشرب والملبس.والاقتصار من ذلك كله على الضروري الذي لا غنى عنه.لكن هذا كله تغير منذ تولى أمير المسلمين علي بن يوسف حكم المرابطين.

أ - الطعام والشراب:

كان طعام المرابطين أول أمرهم غاية في البساطة؛لأسباب ودواعٍ أملتها البيئة الصحراوية التي بدأت فيها دولتهم،ومنها اتباعهم عبد الله بن ياسين،الذي كان مثالاً في الزهد،منشغلاً بأمر الدعوة،عازفًا عن متع الحياة

(٥٣)نهاية الارب في فنون الأدب،تحقيق عبد المجيد ترحيني،منشورات محمد علي بيضون،دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان ،٢٠٠٤م ، ج٢٢،ص ٧٧.

(٥٤)ابن الخطيب،الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية،ط١،تحقيق الدكتور سهيل زكار ،الأستاذ عبد القادر زمامة،دار الرشاد الحديثة ،الدار البيضاء،١٩٧٩م، ص ٢٩.

Max,VAN BERCHEM, Titre califiens d'Occident, dans J.A., T., IX, mars-avril 1907, pp., 245 sq.

(٥٥)وفي هذا المعنى ايضًا يقول السلاوي الناصري :وإنما احتاج أمير المسلمين إلى التقليد من الخليفة العباسي مع أنه كان بعيدًا عنه وأقوى شوكة منه لتكون ولايته مستندة إلى الشرع ... وإنما تسمى بأمير المسلمين دون أمير المؤمنين أدبا مع الخليفة حتى لا يشاركه في لقبه،لان لقب أمير المؤمنين خاص بالخليفة والخليفة من قريش.السلاوى :الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ،ج٢،ص٥٣.أحمد مختار العبادي ،دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، ص٩٩-١٠٠.

الدنيا،متقللاً من الطعام والشراب[٥٦]،مقتصرًا منهما على الضروري من خالص الحلال،من صيد البرية المحيطة برباطه في نهر السنغال[٥٧]. وهكذا كان طعام المرابطين جميعًا؛عملاً بنصائح من قبيل نصيحة قاضيهم المرادي (ت٤٨٩هـ)[٥٨]،الذي ينصح الأمراء بالاعتدال في الطعام والشراب قائلاً: "أول ما أوصيك به...أن تأخذ نفسك بالاعتدال في جميع الأحوال،في مطعمك ومشربك...واعلم أن بطنك لا يسع جميع الأطعمة؛فاختر له أفضلها.وفضل الطعام من عدة أوجه،أولها:قرب وجوده،والثاني:تمام المنفعة،والثالث:قلة ضرره،والرابع:لذة طعمه،والخامس:ذكاء ريحه،والسادس:إحكام صنعه.فإن لم تجتمع هذه الأمور في طعامك،فاعمد إلى أقرب الأطعمة من نفعك،وأشبهها بحالك.واعلم أن ما أخللت به من هذه الأوصاف التي وصفتها لك في نفسك،ومُزْرٍ عليك عند مؤاكلتك،وأن مطاعم الرجال يُستدل بها على عقولها،ويُستشهد بها على همتها ومروءاتها؛فإنه لا يُحْكِمُ آراءه من ليس يُحكِمُ غذاءه"[٥٩].

واتبع يوسف بن تاشفين نفس النهج في معيشته،ملتزمًا سَنَنَ الشريعة؛فلم يشرب مسكرًا قط،ولا استمع إلى قينة أو مغنية،ولا لها بالصيد مثلما يلهو الملوك،ولا لبس ملابسهم،بل حكم- حتى بعدما سيطر على الأندلس- بالاستقامة[٦٠]،مأكله ومشربه الشعير ولحوم الإبل وألبانها،مقتصرًا على ذلك،ولم يعرف مدة عمره الإسراف في الطعام ولا الشراب ،على ما منحه من سعة الملك،وخوَّله من نعمة الدنيا[٦١].وأكسبه عزوفه عن مظاهر الترف محبة رعيته والتفافهم من حوله [٦٢].

وانتهج حكام المرابطين نفس سيرة ابن تاشفين في مأكلهم ومشربهم،فكانوا في عهده مثالاً للزهد،والعزوف عن زخرف الحياة ،مقاومين تأثير الحياة الأندلسية المترفة،فرُويت الأخبار عن زهد الأمير سير بن أبي بكر اللمتوني (٤٨٤ هـ/١٠٩١م-٥٠٧ هـ/١١١٤م)[٦٣]،وتقشفه،وخشيته لله[٦٤]،وكان القائد المرابطي محمد بن عائشة

(٥٦)ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب بروض القرطاس ،ج٢،ص٣٠، السلاوي، الاستقصا ،ج٢،ص١٩.

(٥٧)البكري،المغرب،ص ١٦٥.

(٥٨)هو أبو بكر محمد بن الحسن المرادي الحضرمي،المتوفي سنة(٤٨٩هـ)،ولد في القرن الخامس،ونشأ في القيروان،وتوفي في مدينة أزكي،وكان رجلا نبيها،عالما،وإماما في أصول الدين،عالما بالاعتقاد،والأصول،والأدب،و الشعر، كان ذو حظ وافر في البلاغة والفحاحة.ابن بشكوال،الصلة،ج١،ص٥٤٧-٥٤٨،ابن بسام(أبو الحسن علي الشنتريني (ت٥٤٢)،الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة ،ط١،تحقيق احسان عباس ،دار الثقافة ،بيروت، ١٩٧٩م،المجلد الاول،القسم الرابع، ص٣٦٧،٣٦٤.

(٥٩)المرادي الحضرمي (أبو بكر محمد الحسن (ت٤٨٩هـ) كتاب الإشارة في تدبر الإمارة،ط١ ،تحقيق محمد حسن اسماعيل الشافعي ،أحمد فريد المزيدي،منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية ،بيروت، لبنان ، ٢٠٠٣م ،ص٧٥.

(٦٠)ابن عذارى، المصدر السابق،ج٤،ص٨٧.

(٦١)ابن خلكان،وفيات الأعيان وأبناء الزمان ،ج٥،ص٤٧٧ .

(٦٢) حمدي عبد المنعم حسين،تاريخ المغرب والأندلس في عصر دولة على بن يوسف المرابطي ،ص٣٦.

(٦٣)كان من أبرز زعماء لمتونة وقادتها،وظهر نبوغه العسكري وبراعته الحربية في معركة الزلاقة عام ٤٧٩هـ،وافتتح إشبيلية عام ٤٨٤هـ،ثم مملكة بطليوس،ثم افتتح قواعد الغرب،فحمى الثغور من اعتداءات النصارى،وانتصر على ألفونسو السادس عام ٤٩٨هـ عندما حاول ألفونسو الهجوم

[٦٥]مثله في الزهد،وقائدًا لم يكن في المرابطين مثله بأسًا ونجدة،واجتهادًا في نصرة الدين،واستبصارًا في أداء الطاعة[٦٦]،حتى أشبهوا المسلمين الأوائل في بساطة العيش والزهد والجهاد[٦٧].

وكان طعام صنهاجة في صحرائها،اللحم المقدَّد المطحون،الذي يُصَبُّ عليه الشحم المذاب أو السمن.ولم يكن لهم عهد بالخبز إلا نادرًا،بل ربما نفد عمر أحدهم وما رأى خبزًا ولا أكله،اللهم إلا إن مرَّ بهم التجار من بلاد الإسلام الأخرى،فيطعمونهم الخبز[٦٨].ولعل مما يؤكد ندرة الخبز عندهم أنه كان مما أمد به يوسف بن تاشفين ابن عمه أبا بكر بن عمر،ويشير ابن عذاري الى ذلك بقوله :"ووجه (أي يوسف) له...ألف ربع من دقيق الدرمق،واثني عشر ألف خبزة،وسبعمائة مُدٍّ[٦٩]من الشعير"[٧٠].

ومن أطعمتهم "الحلو المخمرة"،التي تصنع من العسل الطيب المغلي على النار المعتدلة [٧١]،و"العصيدة"[٧٢] طعام معروف عند أهل المغرب عامة وورد ذلك في الأمثال منها :"شيخين على عصيدة:واحد يبرد وواحد يشرد"[٧٣].أي يطرد الذباب

على إشبيلية ،وتوفي الأمير سير بن أبي بكر عام ٥٠٧هـ.ابن الكردبوس،تاريخ الأندلس ووصفه لابن الشباط،تحقيق أحمد مختار العبادي،معهد الدراسات الاسلامية،مدريد،١٩٧١م،ص ١٠٦.حامد محمد خليفة ، يوسف بن تاشفين،ط١،دار القلم،دمشق،٢٠٠٣م،ص١٠٥.

(٦٤)الونشريسي،المصدر السابق،ج٩،ص ٧٠٣.

(٦٥)وهو الأمير أبو عبد الله محمد بن يوسف بن تاشفين أمير المسلمين وكان ينسب الى أمه،جريا على عادة المرابطين،حيث كانوا ينسبون بعض أبنائهم الى أمهاتهم وكان من فرسان المرابطين المشهورين،عينه أمير المسلمين قائدا على شرق الاندلس،وشارك في وقعة اقليش الشهيرة في عهد علي بن يوسف،وبقي مجاهدا الى أن اعتل بصره وعمي،النويري ،نهاية الارب في فنون الأدب،ج٢٤،ص٢٦٥،ابن الكردبوس،تاريخ الأندلس،ص ١٠١

(٦٦)ابن الآبار(أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي(ت٦٥٨هـ) التكملة لكتاب الصلة،تعليق ونشر الفريد بل وابن شنب ،الجزائر، ١٩١٩م ،ج١،ص ٥٥.

(٦٧)المراكشي،المعجب،ص ١٧١.

(٦٨)البكري، المغرب،ص ١٧٠- ١٦٤.

(٦٩)المد:استخدم في المغرب و الأندلس كوحدة مكاييل وموازين، لم يتفق فقهاء المسلمين على تحديد وزنه على وجه الدقة سواء بالدرهم أو بالاوقية أو بالرطل،والمد الشرعي في فجر الاسلام وخاصة في المدينة كان يساوي ربع صاع اي ٨١٢.٥ جرام قمح،وفي فاس كان مد القمح ٨٠أوقية كل أوقية ٤١.٦جرام اي حوالي ٣.٣٢٨ كيلو جرام من القمح،أو مكيالا سعته ٤.٣٢ لتر.فالتر هنتس، المكاييل والاوزان الاسلامية ،ترجمة الدكتور كامل العسيلي،منشورات الجامعة الاردنية،د.ت،ص٧٤-٧٥،كمال السيد أبو مصطفي،تاريخ الأندلس الاقتصادي في عصر دولتي المرابطين والموحدين، مركز الأسكندرية للكتاب،د.ت،ص٢٢٣،محمد أحمد أبو الفضل،شرق الاندلس في العصر الاسلامي،دار المعرفة الجامعية،الأسكندرية، ١٩٩٦،ص٢٩٣.

(٧٠)ابن عذاري،البيان المعرب ،ج٤ ،ص٢٦.

(٧١)مؤلف مجهول،كتاب الطبيخ في المغرب والأندلس،صحيفة معهد الدراسات الاسلامية،مدريد ،١٩٦١م ،ص ٩٣-٩٤.

(٧٢)العصيدة هي عبارة عن عسل مصفى منزوع الرغوة، ويضاف إليه زيت وسمن طري ،ويرفع على نار لينة ، ثم ينزل ويترك حتى يبرد .مؤلف مجهول ، كتاب الطبيخ في المغرب والأندلس،ص١٩٤.

(٧٣)الزجالي(أبو يحيي عبيد الله بن أحمد (عاش في القرن العاشر)أمثال العوام في الأندلس تحقيق محمد بنشريفة،منشورات وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية والتعليم الأصلي،مطبعة محمد الخامس الثقافية الجامعية،فاس، دط، ١٩٧١م،ج٢،ص ٤٣٢.

ويتضح أيضا من المصادر أن مراكش حاضرة المرابطين اشتهرت بطبق مُعدٍّ من الباذنجان.نستشف هذا من قول الوزير أبي الحسن بن الإمام الغرناطي،كاتب الأمير تميم بن يوسف بن تاشفين،في هجائه لمراكش عاصمة الدولة المرابطية في عهده:

يا حضرة الملك ما أشهاكِ لي وطنًا...لولا ضروبُ بلاءٍ فيكِ مصبوبُ **ماءٌ زُعاقٌ وجوٌّ كلُّه كَدِرٌ...وأكلة من بذنجان ابن معيوبِ

وابن معيوبٍ هذا كان من خُدَّام الطبيب أبي العلاء بن زُهر(٧٤)،ويزعم الناس أنه سمَّ ابن باجة(٧٥)لعداوته ابن زهر في أكلة باذنجان(٧٦).

وكان شرابهم اللبن،لدرجة أنهم استغنوا به عن الماء،فيظل الرجل منهم أشهرًا لا يشرب ماءً،ومع ذلك فإن أبدانهم متينة قوية(٧٧).أما قبائل لمتونة،فكان معظم طعامهم وأفضله لديهم وأشهاه ،ذلك المسمَّى عندهم بالبربرية"أسلو".حيث كانوا يأخذون الحنظة فيقلونها قليًا معتدلاً،ثم يدقونها حتى تصبح جريشًا،ثم يمزجون العسل بما يماثله سمنًا،ويعجنون به تلك الحنطة على النار،ثم يضعونها في مزاود،فإذا أخذ أحدهم ملء كفه منها،وأكله،ثم شرب عليه اللبن،فإنه لا يحتاج إلى طعام آخر طول يومه(٧٨).

أما عن طريقة جلوسهم للأكل،فكان أفراد الأسرة المرابطية يجتمعون حول بساط مُدَّ ،ووضع الطعام فوقه، على الأرض أو على مائدة منخفضة(٧٩)،ويستعملون الملاعق مع بعض الأطعمة(٨٠)،ويستغنون عنها مع

(٧٤)هو أبو العلاء زهر بن أبي مروان عبد الملك بن محمد بن مروان بن زهر،مشهور بالحذق والمعرفة،واشتغل بصناعة الطب وهو صغير في ايام المعتضد بالله أبي عمرو عباد بن عباد،وله علاجات مختارة تدل على قوته في صناعة الطب واطلاعه على دقائقها،وكان في دولة الملثمين،وحظى في أيامهم، ونال المنزلة الرفيعة والذكر الجميل،وكان له نوادر في مداواته المرضى ومعرفته لاحوالهم وما يجدونه من الآلآم من غير أن يستخبرهم عن ذلك بنظره إلى قواريرهم،أو عندما يجس نبضهم.ابن أبي أصيبعة (أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس(ت٦٦٨هـ)،عيون الأنباء في طبقات الاطباء،تحقيق دكتور عامر النجار،دار المعارف، القاهرة ، د.ت، ج٢،ص ٤٦٥.

(٧٥)ابن باجة:هو أبو بكر محمد بن يحيى بن الصائغ، من الأندلس،وكان في العلوم الحكمية علامة،وبليً بمحن كثيرة وشناعات من العوام،وقصدوا هلاكه مرات وسلمه الله منهم،وكان متميزا في العربية والادب حافظا للقران،ويعد من الافاضل في صناعة الطب.ابن أبي أصيبعة،المصدر السابق، ج٢،ص٤٦٢.

(٧٦)المقري(أحمد بن محمد المقري التلمساني(ت١٠٤١هـ)،نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب،تحقيق احسان عباس،دار صادر،بيروت، ١٩٦٨م،ج٤ ،ص١٢ -١٣.

(٧٧)البكري،المغرب،ص١٧٠،الإدريسي،صفة المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس،مأخوذة من نزهة المشتاق في اختراق الافاق،نشر دوذى و دي غويه،المطبعة الشرقية،ليدن،١٨٦٦م،ص٥٨.

(٧٨)الإدريسي،نفسه،ص ٥٩.

(٧٩)الوزان الفاسي(حسن بن محمد)المعروف بليون الافريقي(وصف افريقيا)،ط٢،ترجمه عن الفرنسية ،الدكتور محمد حجي،الدكتور محمد الاخضر ،دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ١٩٨٣م، ج١،ص٩٦-٩٧.

غيرها[٨١].ويكون اللحم والمرق معًا في قِدْرٍ من الفخار،ويتناول كل واحد منهم قطعة اللحم التي تعجبه بيده،فيضعها أمامه دون تقطيع بسكين،وإنما ينهش منها ما استطاع بأسنانه[٨٢].وبتلك البساطة فالمائدة المرابطية تنسجم مع سائر مناحي الحياة اليومية عند المرابطي.

ب- الملابس:

كانت ملابس المرابطين تمتاز أيضًا بالبساطة،وقد تمسك يوسف بن تاشفين بملابسه الصوفية البسيطة بالرغم من اتساع سلطانه[٨٣]،وكان"لباسه الصوف،لم يلبس قط غيره"[٨٤]،وأولع بالاختصار في ملبسه[٨٥] وكانت الملابس الصوفية هى الغالبة والأوسع انتشارًا بين المرابطين في أوائل عهدهم؛ويرجع هذا أساسًا إلى وفرة الأغنام في سهول المغرب الأقصى وهضابه[٨٦]،ومنها العمائم الصوفية المسماة بالكرازي[٨٧]،والغفائر القرمزية،والعمائم ذوات الذؤابات[٨٨].وكانت كلها غاية في البساطة،حتى سخر منها الموحدون خصوم المرابطين،وتندروا بها تندرهم بتغطية المرابطين لوجوههم باللثام[٨٩]،وكذلك سخر عامة الأندلس من عمائم المرابطين،قائلين في أمثالهم:"طالع هابط،يحل عمام في راس مرابط"[٩٠].ويذكر بعض الباحثين إن المرابطين كانوا لا يرتدون سوى "جلابة بسيطة من الصوف الخشن على أجسامهم صيفًا وشتاءً"[٩١].

---

(٨٠) Le'vi Provencal:"Un manuel Hispanique de Hisba sur la surveillance des corporation et la repression des frauds en Espagne,Musulmane,pariis DCCCXXXI,OP cit,T,P431.

(٨١)حسن الوزان ،المصدر السابق، ج١،ص٩٦-٩٧.

(٨٢)حسن الوزان نفسه .

(٨٣)ابن الخطيب،المصدر السابق،ق٣،ص ٢٣٤ .

Nevill : A Survey of North West Africa , P : 24. Budgett Meakins ;The Moorish Empire ,P; 53

(٨٤)ابن أبي زرع، المصدر السابق،ج٢،ص ٣٦ .

(٨٥)ابن عذاري،البيان المغرب ،ص ٤٦.

(٨٦)الإدريسي،المصدر السابق،ص٧٣- ٧٩.

(٨٧)الكرازى:هي كلمة غير عربية،ويبدو أنها بربرية أي تعني العمامة،وهي واسعة سعة جريدة النخل،وطويلة تلف بها الرأس خمس أو ست لفات ،باعتبارها عمامة،وهي مصبوغة بالحنة ولها شرائط وقباطين مبرومة تتدلى على الجوانب بمثابة هديات،ولكنها مكورة حول الرأس بشكل أنيق،كما تكور العمامة.الإدريسى،صفة المغرب،ص ٥٨،رينهارت دوزي،المعجم المفضل بأسماء الملابس عند العرب،ط١،ترجمة الدكتور أكرم فاضل، الدار العربية للموسوعات،بيروت، ٢٠١٢م، ص ٣٣٧-٣٣٨.

(٨٨)ابن غازي،الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون،تحقيق بنمنصور عبد الوهاب، المطبعة الملكية، الرباط، ط ٣ ،١٩٩٩م ، ص ١٩.

(٨٩)البرزلي(أبو القاسم محمد القيروان ت٨٤١هـ) فتاوى البزلي،جامع الاحكام لما نزل من القضايا بالمفتيين والحكام،تقديم وتحقيق محمد الحبيب الهيلة،دار الغرب الإسلامي، بيروت ٢٠٠٢م ،ج١، ص٣٦٩ .

(٩٠)الزجالي،أمثال العوام في الأندلس،ج٢ ،ص ٢٤٦.

(٩١)جان و جيرم طارو،أزهار البساتين في أخبار الأندلس والمغرب في عهد المرابطين والموحدين،ترجمة وتعليق أحمد بلافريج،محمد الفاسي،المطبعة الوطنية،الرباط، ١٣٤٩هـ،ص ٧٨.

أمَّا فقهاء المرابطين وعلماؤهم في المغرب والأندلس ،فكانت لهم ملابسهم المميزة لهم عن سائر طبقات المجتمع،ومنها "الغفارة"[٩٢]،التي قيل عنها في أمثال تلك الفترة:"ثلاثة من الناس ما يلبس غفارة:صيَّاد بصنارة،وحمار بحمارة،وجنان بخطارة"[٩٣]،أي أن الغفارة ليست مما يلبسه العوام،وإنما هي خاصة بفئة العلماء .

وكان الاتصال بحضارة الأندلس–وهي حضارة تتميز بالبذخ والترف–هو الذي وضع القيم والتقاليد المرابطية على المحك[٩٤]،وعاين يوسف بن تاشفين جزءًا من ذلك ،منذ لقائه بالمعتمد بن عباد أمير اشبيلية (٤٣١هـ–٤٨٨هـ/١٠٤٠م–١٠٩٥م) في الجزيرة الخضراء،وفي أثناء مقامه بقصر إشبيلية بعد معركة الزلاقة[٩٥]،وأغراه بعض أصحابه بأن ينال حظه من حسن الحال في الأندلس،ووفرة المطعوم والمشروب والملبوس،قائلين له:"إن فائدة الملك قطع العيش فيه بالتنعم واللذة،كما هو المعتمد وأصحابه"[٩٦]،فأنكر عليهم يوسف هذا،واستمسك بما هو عليه من الاقتصار في ملابسه وسائر أموره،غير ميال إلى الترف واللذة والنعيم،ولاسالك مسلكًا غير الذي أفنى فيه صدر عمره في بلاده ،من شظف العيش[٩٧].ولذا لم يتأثر واتباعه بالحياة الأندلسية إلا لمامًا،و"كانوا رجالاً لا عهد لهم بالدعة،ولا علم عندهم برخاء العيش،إنما همُّ أحدهم فرسٌ يروضه ويستفرهه،أو سلاحٌ يستجيده،أو صريخ يلبي دعوته"[٩٨].

لكن الأمور سرعان ما تغيرت بعد وفاة أمير المسلمين يوسف بن تاشفين،ولم تستمر تلك الحياة البسيطة طويلاً،وأثرت الحياة الأندلسية المترفة في الجيل الثاني، الذي لم يكن من الممكن أن تستمر مقاومته لحياة الأندلس وحضارتها المتقدمة،خاصة بعدما تدفقت الغنائم،وتكدست الأموال؛فاختلط هذا الجيل الثاني بأهل الأندلس،واتخذ معظم أبنائه المحظيَّات والزوجات الأندلسيات،ونشأ جيل مُوَلَّد جديد تربى وتعلم في أجواء من اللين والترف على أيدٍ أندلسية ،بعيدًا عن بساطة الصحراء وشظفها.وظهر التحول واضحًا في عهد أمير المسلمين علي

(٩٢)الغفارة :تشير قديما إلى نوع طاقية من طواقي المرأة،والغفائر جمع غفارة وهي خرقة تكون على رأس المرأة،وقد تكون إسماً للمقنعة التي تغطي بها الرأس،وأيضًا الغفارة كلمة تشير في الأندلس إلى طاقية يلبسها الرجال،لأن عرب الأندلس لم يكونوا يلبسون عادة العمامة،وغفائر الصوف كثيرًا ما يلبسونها حمرًا وخضرًا والصغرمخصوصة باليهود،وربما أن الأندلسيين قد اطلقوا كلمة غفارة على الطاقية التي يسمونها هذا اليوم في المغرب شاشية، والشاشية أيضًا مصنوعة من الصوف الأحمر،وتلبس عادة بدون عمامة.رينهارت دوزي،المعجم المفضل بأسماء الملابس عند العرب،ص٢٧٩–٢٨١.

(٩٣)الزجالي،المصدر السابق،ج ٢، ص ١٧٠.

(٩٤)المقري،نفح الطيب ،ج١ ،ص٢٠١–٢١١.

(٩٥)المراكشي،المصدر السابق،ص٩٣–٩٦.

(٩٦)المقري ، المصدر السابق،ج٤،ص٣٧٤.

(٩٧)المقري، نفسه، ج٤،ص ٣٧٤–٣٧٥.

(٩٨)المراكشي،المصدر السابق ، ص ١٦٣.

بن يوسف في مظاهر الحياة قاطبة؛فبالرغم مما عُرِف عنه من تقشف وميل إلى الزهد[٩٩]،فإن كثيرًا من الأمراء والقواد والولاة في عهده انغمسوا في الترف انغماسًا،وتأنقوا في المأكل والمشرب،وكانت لهم مجالسهم التي تعج بالشعراء والمغنين والندماء[١٠٠].وهذه سنة الحياة على مر العصور.

ج- الزواج:

الزواج أساس الحياة الأسرية،وكان للزوج في المجتمع المغربي أن يتزوج بأكثر من زوجة طبقًا للشريعة الإسلامية،على ألا يتجاوز أربع زوجات.بعد أن كان الذائع أن يتجاوز بعض رؤساء جدالة ولمتونة هذا العدد،حتى جاء عبد الله بن ياسين،فنهاهم عن ذلك،ودعاهم إلى الالتزام بتعاليم الشرع الحنيف،والاقتصار على أربع.وفي هذا الصدد يقول ابن أبي زرع عن سلوك ابن ياسين:"وكان يحيى قد أنزله معه،فوجد عنده تسع نسوة،فسأله عنهن،فقال:هن زوجاتي،فقال له الفقيه:هذا شيء لا يجوز في دين الإسلام،وإنما يجوز في ذلك أربع،ففارقْ خمسًا،فأجابه بالسمع والطاعة،وفارقهن.ثم قال إن جميع الرؤساء من كدالة ولمتونة على مثل حالي،فأنذرهم ،وعرفهم حكم الله"[١٠١].

وليس معنى هذا أن زعماء المرابطين لم يكونوا يأبهون للمرأة،ولا يتأثرون بجمالها،بالعكس؛إذ يُروى عن عبد الله بن ياسين أنه لم يكن يسمع بامرأة حسناء إلا خطبها،فيتزوج في الشهر عددًا منهن[١٠٢]. ويوسف بن تاشفين كان يعشق الجمال أينما وجد،ويختار نساءه من الجميلات[١٠٣]،وكان من زوجاته أندلسية تدعى قمر[١٠٤].ومن الجدير بالذكر أن المرابطين يسروا أمر الزواج،وتساهلوا في تزويج بناتهم وأبنائهم،فلم يكادوا يردون خاطبًا،وزوجوا بناتهم صغيرات.ويؤكد ذلك ابن الحاج التجيبي(ت٥٢٩هـ/١١٣٤م) [١٠٥]" أن من الممكن

(٩٩)المراكشي،نفسه،ص ١٧١ .

(١٠٠)ابن العريف،مفتاح السعادة وتحقيق طريق السعادة ،ط١،جمعه أبو بكر عتيق مؤمن،تحقيق الدكتور عصمت عبد اللطيف دندش،دار الغرب الاسلامي،بيروت ،لبنان،١٩٩٣م،ص ١٤- ١٥ .

(١٠١)ابن أبي زرع، المصدر السابق ،ج٢ ،ص ١١ .

(١٠٢)ابن عذاري،البيان المغرب ، ج ٤، ص ١٦.ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص ١٣٢.البكري، المصدر السابق ، ص ١٦٩.

(١٠٣)ابن أبي زرع، نفسه،ص٨٥. السلاوي، المصدرالسابق، ج١، ص ١٠٣.

(١٠٤)سعدون عباس نصر الله،دولة المرابطين في المغرب والاندلس،ط١،دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٥م،ص ٣٨.

(١٠٥)القاضي أبو عبد الله محمد بن أحمد بن خلف بن إبراهيم التجيبي، المعروف بابن الحاج،قاضي الجماعة بقرطبة،ولد سنة أربعة وثمانين وخمس، روى عن أبي مروان بن سراج وأبي علي الغساني وغيرهم، وأخذ عنه ابنه، والقاضي عياض، وكثير، كان القضاء يدور بينه وبين أبي الوليد بن رشد في خلافة المرابطين،ألف النوازل المشهورة بنوازل الأحكام،قتل ظلما بالمسجد الجامع بقرطبة وهو ساجد يوم الجمعة،سنة خمسمائة وتسعة وعشرين. الضبي(أحمد بن يحيي بن أحمد بن عميرة(ت٥٩٩هـ)،بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، دار الكاتب العلمي،القاهرة، ١٩٦٧ ،ص ٥١ .

تزويج الفتاة قبل بلوغها،حتى وإن كانت يتيمة[١٠٦]،وأن أحد الأولياء خُطبَت ابنته وهي في الثامنة،فأبى أبوها تزويجها خوفًا عليها،فهوَّن ابن الحاج الأمر على الوالد،وسهَّله عليه حتى زوَّجها[١٠٧].وهناك عدة نوازل أيضًا عن آباء زوجوا أبناءهم صغارًا،وتكفلوا بدفع المهور عنهم[١٠٨]،وبعضهم تكفل بالنفقة على الزوجين بعد البناء[١٠٩].

ولم يكن المرابطي –غالبًا– يستشير ابنته في أمر زواجها؛فإن رضي عن الشاب المتقدم لخطبة ابنته،وافق دون العودة للفتاة،ولا سؤالها عن رأيها،حتى إن العامة ذكرت ذلك في أمثالها،فقالت:"أزواج أهل بسطة[١١٠]:الحبال بالأرقاب"[١١١]،يعنون أن الفتاة تُجَرُّ إلى الزواج جرًّا!،

غير أن المصادر أفادت أيضا بوجود فتيات أو نساء خطبت لنفسها،وكان أهل المغرب يحرصون على ألا تتزوج اليتيمة إلا بعد البلوغ وبموافقتها ، ويتأكد الشهود من ذلك عند النظر الى وجهها وقدها ، بالاضافة الى استشارة ثقات النساء [١١٢]، وابن الحاج يصرح بأن اليتيمة التي ليس لها ولي لابد من سماع موافقتها مباشرة،ويقول في هذا الصدد:"ينظر السامعان إلى وجهها...ويقولان لها–أو يقوله غيرهما بمحضر منهما– إن فلانًا خطبك على مهر كذا،فإن كنتِ راضيةً فاصمتي،وإن كنتِ غير راضيةٍ فتكلمي"[١١٣].

وبعد انتهاء فترة الخطوبة يتم عقد القران في أحد الجوامع او المساجد على يد القاضي أو صاحب الانكحة،ويخبرنا التادلي[١١٤] ،في ترجمته لابن النحوي المتصوف،المتوفى عام ٥١٣هـ/١١١٩م

(١٠٦)البرزلي، المصدر السابق، ج ٢، ص ١٩٧ . الونشريسي، المعيار المعرب ،ج٣، ص٣٧٨.

(١٠٧)ابن الحاج(أبو عبد الله محمد بن خلف التجيبي(ت٥٢٩هـ) نوازل ابن الحاج،تحقيق د. أحمد شعيب اليوسفي،الجمعية المغربية للدراسات الأندلسية،تطوان ٢٠١٨م ، ج٢، ص٢١ .

(١٠٨)ابن رشد(الجد أبو الوليد محمد بن أحمد القرطبي ت٥٢٠هـ)فتاوى ابن رشد،ط١،تحقيق المختار بن الطاهر التليلي،دار الغرب الاسلامي،بيروت،١٩٨٧م،السفر ٣، ج ١، ص ١٨٠. الونشريسي: المصدر السابق، ج ٣، ص ٣٧٨.

(١٠٩)ابن رشد،المصدر السابق: ج ٢، ص ٨١٢.

(١١٠)بسطة :مدينة بالأندلس بقرب جيان ،كثيرة الخيرات بها بركة تعرف بالهوتة،فيها ما بين وجه الماء إلى الأرض نحو قامه ،لا يعرف لهذه البركة قعر أصلا وبناحية بسطة جبل يعرف بجبل الكحل،اذا كان أول الشهر برز من نفس الجبل كحل أسود،ولايزال كذلك الى منتصف الشهر.القزويني (زكريا بن محمد بن محمود (ت٦٨٢هـ) آثار البلاد وأخبار العباد،تعليق الاستاذ الدكتور حماه الله وُلد السالم، بيروت، ١٩٧١م، ص٤٤١.

(١١١)ابن عاصم،مجموع بن عاصم ،تحقيق محمد بن شريفة ضمن تاريخ الأمثال والأزجال في المغرب والأندلس– بحوث ونصوص– منشوراتوزارة الثقافة ،مطبعة دار الناهل،المغرب ،٢٠٠٦،ج ٣،ص ٨٩ .ابن الزبير،صلة الصلة،تحقيق عبد السلام الهراس،وسعيد أعراب،وزارة الاوقاف،والشؤون الاسلامية،المملكة المغربية،١٩٩٥م،ج ٥،ص. ٣٠٩.

(١١٢)الونسريشي، المعيار ،ج٣،ص١٣٣.

(١١٣)ابن الحاج،المصدر السابق،ج٢ ، ص٥٥.

(١١٤)التادلي(أبو يعقوب يوسف بن ابن الزيات (ت٦٢٧)، التشوف الى رجال التصوف ،نشره وصححه أدولف فور ،الرباط،١٩٥٨، ص ٧٥.

بسجلماسة،يقول:"وكانت عامة أهل البلدان يعقدون أنكحتهم بالمسجد"، ويشير الونشريسي[١١٥] الى عقد قران احدى الزيجات في جامع مدينة تازا [١١٦].

وشجع فقهاء المالكية على الزواج،ودعوا إلى تيسيره،وتقليل شروطه،فنهى الإمام سحنون عن الشروط المجحفة،والاشتطاط في مطالب الزواج،ونصح أن يزوج الناس بناتهم لمن يرضون دينه وأمانته لا غير[١١٧].ويبدو أن فقهاء المرابطين سلكوا على خطى سابقيهم من علماء و فقهاء المالكية في مساعدة المقبلين على الزواج، ومن أشهرهم في هذا المضمار عبد الله بن أحمد بن طالب[١١٨]،الذي جاءه رجل ذات يوم،يشكو إليه عجزه عن تجهيز ابنته المقبلة على الزواج،فدخل ابن طالب على زوجته،وأخبرها بالأمر،وسألها أن تعطيه حلى ابنتها وكسوتها ليدفعها للرجل،على أن يعوضها عن ذلك فيما بعد،فلبت طلبه.ودفع لرجل آخر ذات مرة ثلاثين دينارًا ليجهز ولده المقبل على الزواج[١١٩]،بل بلغ به الأمر أن كان يقترض الأموال أحيانًا ليعين المقبلين على الزواج[١٢٠]. وجهَّز أبو محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني [١٢١] ابنة قرينه ومعاصره أبي الحسن القابسي[١٢٢] بأربعمائة دينار.

(١١٥)الونشريسي،المعيار ج٣، ص٩٧ ،ص ١٩٨، كمال السيد ابو مصطفى ، جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية والعلمية في المغرب من خلال نوازل وفتاوى المعيار المعرب للونسريشي، مركز الاسكندرية للكتاب،١٩٩٦م، ص١٣.

(١١٦)مدينة تازا :تقع في المغرب الاقصى الى الشمال الشرقي من مدينة فاس،ويذكر صاحب الاستبصار انها " آخر بلاد المغرب الاوسط و أول بلاد المغرب الاقصى وتشتهر بكثرة التين والاعناب وجميع الفواكة ويسكنها قبائل البربر.مجهول،الاستبصار في عجائب الامصار،تحقيق سعد عبد الحميد زغلول،مطبوعات جامعة الإسكندرية،١٩٥٨،ص١٨٦،الحميري،الروض المعطار في خبر الأقطار،ط٢،تحقيق د.إحسان عباس،مطابع هيدلبرغ،بيروت،١٩٨٤،ص١٢٨.

(١١٧)القاضي عياض،تراجم اغلبية مستخرجة من مدارك القاضي عياض،تحقيق محمد الطالبي،نشر الجامعة التونسية، ١٩٦٨م،ص ٢٢٤ –٢٢٥

(١١٨)عبد الله بن أحمد بن طالب التميمي أبو العباس،هو قاضي مالكي من علماء الفقهاء من بني عم الاغالبة أمراء القيروان،ولي قضاء القيروان مرتين أحدهما سنة ٢٥٧هـ–٢٥٩هـ وسجن تسعة أشهر فحلف أن لا يلي القضاء بعدها،والثانية مُكرها سنة ٢٦٧هـ–٢٧٥هـ وأنكر على إبراهيم بن الأغلب بعض سيرته،فعزل وسجن ومات في السجن،خير الدين الزركلي، الأعلام، ط١٥، دار العلم للملايين،بيروت،٢٠٠٢م، ص٦٥

(١١٩)الدباغ (عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الأنصاري ت ٦٩٦ هـ) معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، تحقيق محمد الأحمدي أبو النور ومحمد ماضور، مصر مكتبة الخانجي، تونس، المكتبة العتيقة،د.ت،ج٢، ص١٦٥.

(١٢٠)الدباغ، المصدر السابق،ج٢،ص١٦٦.

(١٢١)عبد الله بن أبي زيد، القيرواني المالكي،ويقال له مالك الصغير،ولد عام٣١٠هـ بالقيروان،وبها نشأ وتربى،وتلقى علومه الأولية من كبار شيوخها وهو إمام المالكية في وقته،وقدوتهم،وجامع مذهب مالك، وشارح أقواله،وكان واسع العلم كثير الحفظ والرواية،وكتبه تشهد له بذلك،القاضي عياض، ترتيب المدارك وتقريب المسالك ،ج٤، ص٢٩٢–٢٩٧.

(١٢٢)أبو الحسن علي بن محمد خلف المعافري القروي القابسي هو عالم مالكي وإمام في علم الحديث وكان أعمى لا يرى شيئا،ولد سنة ٣٢٤هـ بالقيروان،شد الرحال الى المشرق الاسلامي سنة ٣٥٢هـ،وعاد إلى مصر فأقام بها يسمع الحديث بالإسكندرية،توفي بمدينة القيروان سنة ٤٠٣هـ . القاضي عياض،ترتيب المدارك،ج٤،ص٦١٦،محمد بن محمد مخلوف،شجرة النور الزكية في طبقات المالكية،ط١،تحقيق عمر علي،مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، ٢٠٠٧م، ج١،ص٢٢٨.

د- بساطة الطب والعلاج عند المرابطين:

عرف المغاربة في عصر المرابطين ألوانًا من العلاج البسيط،وكان "العزل"عندهم وقايةً من العدوى بالأمراض الخطيرة كالجذام(١٢٣)،كما حاولوا الإفادة من الظواهر الطبيعية في هذا المضمار،ففتتوا بماء أنهار فاس حصى المثانة،واستعملوه في مقاومة القمل(١٢٤)،واستحموا للتداوي وعلاج الأمراض الجلدية في العيون الساخنة،في خولان وحمة وشتاتة(١٢٥). واستغلوا ما هو متاح في الطبيعة من حولهم من مواد نباتية وحيوانية ومعدنية،وعرفوا فائدة نباتات جبل فازاز(١٢٦) في علاج بعض الأمراض(١٢٧)،واكتشفوا أن بمدينة إيجلي(١٢٨) شجرة تشبه شجرة الكمثرى،وثمرتها تشبه ثمرتها،تترك تلك الثمرة لتذبل،ثم توضع على النار في مقلاة من الفخار ؛ليُستخرج دهنها المفيد في علاج الكلى وإدرار البول(١٢٩).

وخطا الأندلسيون في ذلك العصر خطى أبعد من المغاربة،وحرصوا على وقاية أجسامهم وحفظ صحتها بالحمية،قبل الاضطرار إلى التطبيب،وسجلت أمثالهم ذلك،فقيل فيها:"كل الزيت ولا تمشِ لطبيب"(١٣٠)،ويؤكد صحة هذا المبدأ ما أورده ابن رشد في "الكليات"،حين قال:"الزيت ملائم بجملة جوهره للإنسان جيد"(١٣١).

٤- بساطة العمران:

شهد المغرب الأقصى في عصر المرابطين حركة عمرانية كبيرة،تنوعت فيها المنشآت،ما بين عسكرية- كالقلاع أوالحصون والأسوار- ودينية عامة،كالمساجد،ومدنية كالصهاريج والقناطر والقيساريات والحمامات.بل أُسست مدن كاملة جديدة كانت لها أدوار حضارية مميزة،وإسهام في تقدم المنطقة ونهضتها،وعلى رأس تلك المدن

---

(١٢٣)التادلي ،المصدر السابق،ص ٢٥٨ .

(١٢٤)الجيلاني(عبد السلام الغرابلي)رسالة في ذكر من أسس مدينة فاس،رقم ٩٧٣٢ح،دار الكتب،دت، ص ٤٥.

(١٢٥)الجيلاني، المصدر السابق، ص ٤٥.

(١٢٦)الجيلاني، نفسه، ص ٤٥.

(١٢٧)مؤلف مجهول،الاستبصار في عجائب الامصار"وصف مكة والمدينة ومصر وبلاد المغرب،نشر وتعليق د.سعد زغلول عبد الحميد،مطبعة جامعة الإسكندرية ،١٩٥٨م، ص ١٨٧.

(١٢٨)ايجلي:مدينة عظيمة وكبيرة ببلاد السوس بالمغرب الاقصى واشتهرت بالزراعة،وأهم مزروعاتها قصب السكر والنخيل ويعمل بها النحاس المسبوك يتجهز به إلى بلاد السودان،وصلها عقبة بن نافع عند دخوله بلاد المغرب،وافتتحها فأخرج منها سبيا لم ير مثله حسنا، كانت تباع الجارية الواحدة منهن بألف دينار لحسنها وتمام خلقها.مؤلف مجهول ، الاستبصار في عجائب الامصار، ص٢١٢.

(١٢٩)مؤلف مجهول ،المصدر السابق، ص ٢١٢ .

(١٣٠)الزجالي، المصدر السابق،ج ٢،ص ٢٦١.

(١٣١)الكليات في الطب،ط١،تحقيق الجابري محمد عابد،مركز دراسات الوحدة العربية بيروت،١٩٩٩م،ص ٣٩٩.

"مراكش"،التي صارت عاصمة بعد "أغمات"[١٣٢]،التي اكتضت بأبناء القبائل القادمين من الجنوب،وضاقت بهم،فشكا أهل أغمات ذلك لأبي بكر بن عمر،فبحث عن مكان لمدينة جديدة تسع الوافدين[١٣٣]،ووقع اختياره على المكان الذي فيه مراكش،ووضع أساس المدينة الجديدة[١٣٤].

ثم جاء ابن تاشفين،الذي يقول عن صنيعه ابن أبي زرع:"فسكن الموضع بخيام الشَّعَر،وبنى فيه مسجدًا للصلاة،وقصبةً صغيرة لاختزان أمواله وسلاحه،ولم يبن على ذلك سورًا.وكان–رحمه الله– لما شرع في بناء المسجد يحتزم،ويعمل في الطين والبناء بيده مع الخَدَمَة تواضعًا منه"[١٣٥]غير أن ابن خلدون يذكر أنه أدار سورًا على المسجد والقصبة(أي القلعة)،ثم ما لبثت المدينة أن تطورت،فبُنيت بها بعض المساكن[١٣٦]،وكانت تلك مقدمة لحركة واسعة من البناء والتعمير برعاية أمير المسلمين يوسف بن تاشفين[١٣٧].

وكان أول بيت بُنِي بالحجر في مراكش،بيت تورزجين بن الحسن،وكان قبلها من اللَّبِن[١٣٨].إلا أن مراكش ظلت مدينة بسيطة،يغلب عليها الطابع البدوي،وتفتقر إلى المرافق والمباني العامة الضخمة،حتى تغيرت صورتها تلك في عهد علي بن يوسف،عام ٥٠٠هـ/١١٠٦م،وانتقلت المدينة من دور البساطة إلى طور الحضارة والازدهار في مختلف المجالات العمرانية والاقتصادية[١٣٩]،وتزايد عدد سكانها،واتسع عمرانها،وامتدت على سبعة أميال كاملة،وتنافس أمراؤها في بناء القصور الضخمة[١٤٠].

وتنوعت طرق البناء وصوره من مدينة لأخرى؛حسب الإمكانات وظروف البيئة الطبيعية في المكان المحيط بالمدينة،فمراكش كانت منازلها في البدء من الطين واللَّبِن،ثم لما أراد أمير المسلمين علي بن يوسف بناء

---

(١٣٢)ابن سعيد المغربي،بسط الارض في الطول والعرض،تحقيق الدكتور خوان قرنيط خينيس ،تطوان ،١٩٥٨م،ص٥٩ .حسن علي حسن، الحضارة الاسلامية في المغرب والاندلس " عصر المرابطين والموحدين" ط١، مكتبة الخانكي،القاهرة،١٩٨٠م، ص٣٧٢.

(١٣٣)ابن عذاري، البيان المعرب،ج٤، ص ١٩.يوسف اشباخ ،تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين ،ترجمة محمد عبد الله عنان مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر،القاهرة،١٩٤٠-١٩٤١م ،ج١،ص٧٠، لسان الدين بن الخطيب،الحلل الموشية ،ص٥.

(١٣٤)ابن الخطيب، الحلل الموشية،ص ٥-٦. ابن عذاري، البيان المغرب ،ج٤ ،ص١٩.

(١٣٥)ابن أبي زرع، المصدر السابق، ج٢ ،ص٤٠ .

(١٣٦)ابن خلكان ،المصدر السابق ،ج٧ ،ص ١٢٤.

(١٣٧)مانويل جوميث مورينو، الفن الاسلامي في إسبانيا من الفتح الاسلامي للأندلس حتى نهاية عصر المرابطين ، ترجمة الدكتور السيد عبد العزيز سالم ،الدكتور لطفي عبد البديع ، مؤسسة شباب الجامعة ،دت ،ص٢٣٧، عبد العزيز بنعبد الله، تاريخ المغرب، الدار البيضاء ،المغرب ،دت،ج،١ ص ١٣ ، يوسف اشباخ،تاريخ الاندلس،ج٢،ص٢٣٩.

(١٣٨)ابن عذاري ،المصدر السابق ،ج٤، ص ١٩-٢٠.

(١٣٩)المقري،المصدر السابق،ج٤،ص١١٠.ابن القاضي(احمد بن محمد)،جذوة الاقتباس فيمن حل من الأعلام مدينة فاس،طبع حجر فاس ١٢٠٩هـ،ج٢،ص ٤٥٩-٤٦٠،ابن أبي دينار(محمد بن القاسم الرعيني القيرواني)كتاب المؤنس في اخبار أفريقية وتونس،ط١،تونس،١٢٨٦هـ، ص ١٠٩.

(١٤٠)الزركشي(أبو عبدالله محمد ابراهيم اللؤلؤي) تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية ،ط١،تونس،١٢٨٩هـ، ص٨. ليوبولدو توريس بالباس:الفن المرابطي والموحدي،تحقيق،الدكتور سيد غازي،دار المعارف،مصر ،١٩٧١ م ،ص ٣٠- ٣١، حسن ابراهيم حسن،تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي،ط١٤، دار الجيل ،بيروت،١٩٩٦م، ج٤،ص ٥٨٣ .

قصره فيها،جلب الحجر لهذا الغرض من جبل إيجليز القريب[١٤١].أما مدينة فاس فابتنى أهلها دورهم بالحجر والآجر والكلس،وجعلوا سقوفها من الخشب[١٤٢].

وامتازت المباني والقصور في عصر المرابطين بالسعة والضخامة،والقوة والاتساع مع الاقلال من الزخرفة والميل الى البساطة[١٤٣]والاشتمال على كل ما يحتاجه أهل القصر،يقول المنوني عن مراكش:"ويكفي أن كل قصر من قصورها مستقل بالديار والبساتين ،والحمام،والإصطبلات،والمياه،وغير ذلك،حتى يغلق الرئيس منهم بابه على جميع خوله وأقاربه،وما يحتاج إلى أمر من خارج داره،ولا يشتري شيئًا من السوق لمأكل،ولا يُقْرِئ أولاده في مكتب خارج"[١٤٤].

وأولى المرابطون المساجد عنايتهم الفائقة منذ اللحظات الأولى من نشأة دولتهم،التي قامت على أسس دينية دعوية،فكانت مساجدهم- مع حرصهم ايضًا على الاقلال من الزخارف فيها- ضخمة،مهيبة[١٤٥]، ذات رحبات فسيحة مكشوفة،تحيط بها أروقة ذات عقود مستديرة. [١٤٦].وتمتاز كذلك بمآذنها الشامخة كالمنائر،المنفصلة عنها، وتقوم إلى جانبها.[١٤٧]

وشجع المرابطون على بناء المساجد فيما افتتحوه من مدن،بل وصل الأمر -في بعض الأحيان- إلى معاقبة أهل المدينة التي يتكاسل أهلها،ويتقاعسون عن بناء المساجد فيها،كمدينة فاس،التي دخلها المرابطون عام ٤٦٢هـ/١٠٧٠م،وفرضوا على أهلها بناء المساجد في أحوازها وشوارعها وأزقتها،وأعلنوا أنهم سيعاقبون أهل الزقاق الذي ليس فيه مسجد[١٤٨].

وكان يوسف بن تاشفين من أحرص الناس على بناء المساجد[١٤٩]،ولما شرع في بناء المسجد (الجامع الكبير) في عاصمته يحتزم ويعمل في الطين والبناء بيده مع الخَدَمَة،تواضعًا منه[١٥٠]،وتشجيعًا لغيره على

---

(١٤١)الإدريسي ،المصدر السابق، ص ٧٦.

(١٤٢)القلقشندي(أبو العباس أحمد بن على(ت٨٢١)صبح الأعشي في صناعة الانشا،ط١،شرح وتعليق نبيل خالد الخطيب،دار الكتب العلمية،بيروت،١٩٨٧،ج٥، ص ١٥٥.

(١٤٣)حسن علي حسن، الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس،ص ٣٧٥. بينما ذهب ابراهيم حركات الى ان المرابطين عنوا بعنصر القوة والمناعة في مبانيهم قبل عنصر الفن والزخرفة .ابراهيم حركات،المغرب عبر التاريخ ،ج١،ص٢٢١.

(١٤٤)المنوني، العلوم والاداب و الفنون على عهد الموحدين،ط٢،دار المغرب،الرباط ١٩٧٧م، ص ٢٤٩.

(١٤٥)حسين مؤنس ،تطور العمارة الإسلامية في الأندلس،جامعة فؤاد،١٩٥١ م،ص ٢١٦، ابراهيم حركات ،المغرب عبر التاريخ ،دار السلمي، الدار البيضاء، ١٩٦٥م ،ج١،ص ٢٣٩، حسن علي حسن، الحضارة الإسلامية في المغرب والاندلس، ص ٣٧٦- ٣٧٧.

(١٤٦)الجزنائي، المصدر السابق،ص ٤٣-٤٤.

(١٤٧)مانويل جوميث مورينو، المرجع السابق ،ص ٣٣٨.

(١٤٨)ابن ابي زرع، المصدر السابق ، ص١٤١ -١٤٢ .ابن خلدون ،تاريخ ابن خلدون، ج٦،ص ٣٨٠.

(١٤٩)ابن كثير(عماد الدين ابو الفدا اسماعيل بن عمرو)، البداية والنهاية،مكتبة المعارف، بيروت، ١٩٧٤،ج١٢، ص ١٦٥.

الإسهام في بناء المساجد،واقتداء بالرسول–صلى الله عليه وسلم– الذي شارك المسلمين،وعمل بيده الشريفة في بناء المسجد النبوي ،ثم في حفر الخندق في غزوة الأحزاب(١٥١).

وجاء علي بن يوسف،فسار على خطى أبيه في تعمير المساجد،فوسَّع جامع القرويين بفاس(١٥٢)،وأضاف إضافات واضحة إلى مسجد تلمسان الذي بناه والده عام ٤٧٥هـ/١٠٨٢م،وتشير كتابة في محرابه إلى أن الفراغ منه كان عام ٥٣٠هـ/١١٣٥م،بمعنى أن إتمام الأضافات إلى المسجد كان في ذلك العام(١٥٣)،وهو المسجد الوحيد الباقي على هيئته المرابطية إلى الآن(١٥٤).وهو مسجد مستطيل،طول ضلعه من الشمال إلى الجنوب خمسة وخمسون مترًا،ومن الغرب إلى الشرق خمسون مترًا،أي أن مساحته الكلية ألفان وسبعمائة وخمسون مترًا مربعًا(١٥٥).

أما مسجد الكتبيَّة في مراكش–الذي بُني بين عامي ٥٣٤–٥٣٧هـ/١١٣٩–١١٤٢م أي في عهد علي بن يوسف فمنبره من أجمل المنابر الإسلامية(١٥٦)،ومع عدم ميل المرابطين إلى زخرفة المساجد، فإنهم أباحوا ذلك في بعضها،كما في جامع القرويين بفاس،الذي زُين محرابه وقبته بأنواع النقوش والزخرفة،عند توسعته عام

---

(١٥٠)ابن أبي زرع ،المصدر السابق ، ج٢ ،ص٤٠ .السلاوي ،الاستقصا ،ج٢ ،ص ٢٥.

(١٥١)السملالي،الاعلام بمن حل بمراكش و أغمات من الأعلام ،ص ٢٩٨.

(١٥٢)جامع القرويين(٥٢٨هـ/ ١١٣٣م): يعتبر من أهم المساجد الجامعة وأكثرها شهرة باعتبارها جامعة إسلامية قديمة يمكن مقارنتها بجامع الأزهر في القاهرة،وقد مر بناء جامع القرويين بثلاثة أدوار، الأقل عند تأسيسه سنة (٢٤٥هـ/ ٨٥٩م)، والثاني عند الزيادة فيه سنة (٥٣٠هـ/ ١١٥٣) عنما ضاق بالمصليين، فكانت بداية التوسعِة بعدما استأذن قاضي قضاة فاس أمير المسلمين علي بن يوسف، فشرع القاضي في ذلك ببناء الباب الغربي الكبير وهَدّ باب النجّارين حيث عمل على تحسينه وتجميله. ابن أبي زرع الفاسي، الأنيس المطرب بروض القرطاس، ص.٣٦–٣٧. حمدي عبد المنعم حسين ،تاريخ المغرب والأندلس، في عصر المرابطين، ص.٣٦٥–٣٦٦. ابراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ ، ج١، ص٢٣٩.
Budgett meaking ;The Moorish Empire , P ; 53-54.

(١٥٣)عبد العزيز سالم،المغرب الكبير،مؤسسة شباب الجامعة،الاسكندرية،دت،ج٢،ص ٧٤٩– ٧٥٠،حسن أحمد محمود،قيام دولة المرابطين،ص ٤٥٣ .

(١٥٤)ابراهيم حركات،المرجع السابق ،ج١،ص ٢٤٢ –٢٤٣.

(١٥٥)ويتألف من بيت للصلاة مستطيل،يشتمل على ثلاث عشرة بلاطة عمودية على جدار القبلة،وتستند عقود الجامع على خمسة صفوف من الدعائم،تمتد بحذاء جدار القبلة،كل منها يشتمل على اثنتي عشرة دعامة.وسقف المسجد خشبي مسطح،يعلوه سطح منشوري مسنَّم،وتتوسط بيت الصلاة قبة،تقابلها أخرى أمام المحراب،وقبة المحراب تلك من أجمل قباب المساجد الإسلامية،وهي قائمة على اثني عشر عقدًا متقاطعة.انظر : السيد عبد العزيز سالم ،المغرب الكبير ،ج٢ ص ٧٤٩ –٧٥٠ ، إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ ،ج١،ص٢٤٢–٢٤٣.

(١٥٦)مورينو،المرجع السابق،ص ٣٤٩– ٣٥٠ .

٥٣٣هـ/١١٣٨م[١٥٧]وايضا انشأ المرابطون في مسجد تلمسان القبة المعرقة بواسطة قطع من الاجر وطريقة بناء هذه القبة تمت عن طريق استخدام العنصر المقرنص أو المقربص[١٥٨].

وقد اشتملت أشكال الزخرفة في مساجد المرابطين على الزخرفة الكتابية والنباتية والهندسية وكانت بداية الزخرفة الجصية المرابطية بسيطة ذات أشكال اسطوانية بداخلها العنصر الزخرفي الأكثر انتشارا [١٥٩]، كما اتخذت المحاريب أشكالا موحدا، وهو الشكل المتعدد الأضلاع ، فالمرابطون هم أول من أعطى المحراب شكلا سداسيا، فمحاريب مساجد المرابطين تمتاز بكسوة فنية رائعة، أبهرت دارسي الآثار الإسلامية، خاصة وأنهم يعلمون أن المرابطين غير مبالين ببهرج الحياة وزينتها وزادت حيرتهم أكثر حينما طرأ هذا التغيير المفاجئ في حياتهم البسيطة، دون أن يمروا بالمراحل الترتيبية للنضوج الفني[١٦٠].

أما منازل العامة في المغرب والأندلس،فاتسمت بالبساطة التي تبدو أول وهلة من نظرة لشكل المنزل من الخارج.وكان للمنازل شكل عام خارجي واحد، لاسيما في الأندلس[١٦١]:مدخل البيت باب صغير،خال تمامًا من الزخرفة،يؤدي إلى رواق على شكل دهليز أو ردهة،يتناسب مع حجم البيت،ويُفضِي إلى البهو[١٦٢]،وصحن البيت حوله الغرف موزعة على طابق أو طابقين[١٦٣].وكان لكل زوجين غرفة تحت تصرفهما حيث ينام الأبوان وابناؤهما، فالبيت المكون من ست غرف كان بالامكان ان يقيم فيه نحو عشرين شخصا[١٦٤].

---

(١٥٧)المنوني،العلوم والفنون،ص٢٦٧؛

Nevill Barbour ; morocco P ;76 Julien ; Histoire de L'afrique,P;I20.

(١٥٨)المقرنصات:هي مأخوذة عن النوازل والصواعد،ومؤلفة من سبعة عناصر مركبة بشكل مثلثي،توجد على تاج الأعمدة أو على الافاريز وتكون من الجص أو من الحجر المنحوت،أو محفورة على الخشب أو من الطين المحروق والقرناس شبه الأنف الذي يبرز من الجبل، وعلى هذا فالمقرنص يطلق على الأجزاء البارزة في تدرج،ويطلق المقرنص على تلك الصفوف المتدرجة من الداخل الى الخارج، وتعرف في المغرب العربي بالمقربص.سامي محمد نوار ، الكامل في مصطلحات العمارة الاسلامية من بطون المعاجم اللغوية ، دار الوفاء ، مصر،٢٠٠٣،ص٢٥،ص١٧٤.مجموعة كتاب وباحثين ، فن العمارة الإسلامية إتجاهات وتأثيرات ، وكالة الصحافة الغربية ، القاهرة ،٢٠٢٠ ،ص٨

(١٥٩)باسيليون بابون مالدونادو،العمارة الاسلامية في الاندلس ، ط١، ترجمة:علي ابراهيم المنوفي، مراجعة : محمد حمزة الحداد، المركز القومي للترجمة، القاهرة ،٢٠١٠م ، ج٢،ص١٢ .

(١٦٠)محمد الطيب عقاب،لمحات عن العمارة والفنون الاسلامية في الجزائر،مكتبة زهراء الشرق،القاهرة، ٢٠٠٢،ص٦٥.معازير عبد القادر، فن العمارة عند المرابطين (ق ٥هـ-٦هـ/ ١١-١٢م)،مجلة الكلمة ، العدد ١٠٦، فبراير، ٢٠١٦م،ص١١٦.

(١٦١)عبد العزيز سالم،في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس،مؤسسة شباب الجامعة،الاسكندرية،دط،١٩٨٥م،ص ١٨٤.ليوبولدو توريس بلباس،الفن المرابطي والموحدي، ص ١٢٤.

(١٦٢)ليوبولدو توريس بلباس، المرجع السابق، ص ١٢٤ .

(١٦٣)عصمت دندش،الأندلس في نهاية المرابطين و مستهل الموحدين عصر الطوائف الثاني،دار الغرب الاسلامي،بيروت،١٩٨٨م،ص٣٢٤.

(١٦٤)عبد العزيز بنعبد الله،تاريخ المغرب، ،ج١،ص ١٣،روجيه لوتورنو،فاس في عصر بني مرين،ترجمة الدكتور نقولا زياده،مكتبة لبنان،دت،ص ٩٥.

يصف لنا ابن قزمان أيضًا كيف تنتظم حجرات الدار الصغيرة على محيط الصحن،بينما تتوسطه بئر[١٦٥]،والأسقف مجللة بالقرميد أو التبن،حسب الوضع المالي للأسرة[١٦٦]،وربما ابتنى أحدهم لنفسه بيتًا،واتخذ له سقفًا من حطب الطرفاء[١٦٧].

وكانت منازل العامة تُفرش ببسط من الصوف[١٦٨]،أو حصير الحلفاء[١٦٩]؛ولهذا كان المنزل المرابطي يبدو دائمًا–على بساطته– في أبهى صورة،كما كان اللون السائد للبيوت هو البياض،الذي ترتاح له العيون والنفوس،وتتلألأ له بيوت المدن المغربية والأندلسية في العصر المرابطي،كنجوم تتلألأ في سماء زيتونية،كما يقول المقري[١٧٠]،في مقابل البيوت المصرية التي ينقل لنا المقري ضيق صدر ابن سعيد لها حين رآها مجللة بالسواد،الذي تتكدر له النفس وتنفر.

وصفوة القول في منازل المغرب والأندلس في عهد المرابطين أنها تتفق في نقاط عدة،كالمظهر الخارجي البسيط،ووجود الصحن في معظم المنازل،وتكيف طبيعة البناء مع احتياجات قاطنيه الضرورية،كالماء والتهوية الجيدة.ثم هي تختلف بعد ذلك وفق الطبقة الاجتماعية التي ينتمي إليها صاحب المنزل سواء من العامة أو من الخاصة.

٥- أثر المذهب المالكي في الضرائب أو الجباية في الدولة المرابطية:

تنبغي الإشارة أيضًا إلى العلاقة بين المذهب المالكي والحياة الاقتصادية في عهد المرابطين.حيث أنه قبل قيام دولة المرابطين،كانت زناتة تفرض على الناس في المغرب الأقصى ما شاءت من ضرائب غير شرعية أومكوس،وتجبيها بكل عنف وقسوة[١٧١].وفي الأندلس،ضيق ملوك الطوائف على أهلها بما فرضوا من ضرائب فادحة غير شرعية لدفع الجزية الى الفونسو السادس ملك قشتالة [١٧٢]،وتنوعت ما بين ما فرض على رؤوس المسلمين مشاهرة، وضرائب سنوية على الغنم والبقر والدواب والنحل تفوق أثمان أصولها [١٧٣].علاوة على ما

(١٦٥)ابن قزمان القرطبي،ديوان ابن قزمان،نشر د.كورينطي، المعهد الإسباني العربي،مدريد،١٩٨٠م، ص ٥٦٢ –٥٨٨.

(١٦٦)ابن الحاج،المصدر السابق،ج٢،ص٧٥

(١٦٧)المقري،نفح الطيب،ج ٣، ص ٤.

(١٦٨)الإدريسي،المصدر السابق، ص ٢٨٦،ابن قزمان،المصدر السابق،ص ١٣٦.

(١٦٩)ابن عذاري،المصدر السابق،قسم الموحدين،ج٤،ص ٤٤.

(١٧٠)المقري،نفح الطيب،ج ١، ص ٢٠٥.

(١٧١)ابن القطان،نظم الجمان،ص٣٣، ابن أبي زرع،المصدر السابق،ص١٠٠.

(١٧٢)ابن بسام،الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ص٣-٤.

(١٧٣)ابن حزم ،الرد على ابن النغريلة،تحقيق إحسان عباس،دار العروبة القاهرة،١٩٦٠م،ص١٧٦.

Asin palacios M.,"Un Codice Inexplorado del Cordobes Ibn Hazm" Al Andalus 1934 v.II,Fasc.I, p: 37.

أسماه ملوك الطوائف المعونة ،وكانوا يفرضونها على الناس متي شاءوا، كلما ضيق عليهم الأذفونش(الفونسو السادس ملك قشتالة) وطالبهم بالجزية السنوية التي فرضها عليهم [١٧٤]،فاستقضوا تلك الأنواع كلها بالعنف والجور،حتى ضعف الاعتمار وخلت الديار [١٧٥] .

وكان الزراع أكثر الناس تأثرًا بتلك الإجراءات الضرائبية لأن حياة المغرب الاقتصادية تقوم أصلاً على الزراعة، حتي إن ابن عبدون يقول :" فالفلاحة هي العمران .... وببطالتها تفسد الأحوال، وينحل كل نظام" [١٧٦] وكانت تلك الأوضاع سببًا في أن فتحت كثير من بلاد المغرب والأندلس المحصنة أبوابها للمرابطين،وأن استدعاهم الأندلسيون " إيثارًا للحرية "؛ لما شاع عن المرابطين من رد المظالم وقطع المغارم،وأنهم لا يأخذون من المسلمين إلا الزكاة والعشر [١٧٧].حتى ظهروا بمظهر المنقذ لتلك البلاد [١٧٨]. وتؤكد الروايات التاريخية ذلك،وتقول إن المرابطين التزموا حدود الشرع،فلم يطالبوا الناس إلا بالزكاة و العشر والغنائم،والجزية من أهل الذمة [١٧٩].وقد تعني "الزكاة" أحيانًا "زكاة الفطر"،بينما قد يعني مصطلح "العشر"– الذي يرد أحيانًا بصيغة الأعشار أو العشور – زكاة المحاصيل والثمار[١٨٠]،وكتب "النوازل" في الفترة المرابطية تستعمل هذا المصطلح بهذا المعني [١٨١].

وقد ألغي المرابطون هذه المكوس في المغرب والاندلس[١٨٢].وأصبح بامكان التاجر ان يحمل تجارته من اقليم الى آخر ،لا يخشي ارهاقا ولا عسفا ما دام يؤدى عن ارباحه ما يفرضه الدين من زكاة .ويبدو ان التجارة

(١٧٤)عبد الله بن بلقين بن باديس بن زيري (التبيان عن الحادثة الكائنة بدولة بني زيري في غرناطة)،تحقيق ليفي بروفنسال ، دار المعارف ،١٩٥٥م ،ص٧٧،٧٦ ، روض القرطاس، ص١٠.

(١٧٥)ابن الخطيب، أعمال الأعلام ،تحقيق ليفي بروفنسال ،دار الكشوف،بيروت،١٩٥٦،ق٢، ص ٢٤٤.

(١٧٦)ابن عبدون،رسالة في القضاء والحسبة،نشرها ليفي بروفنسال ضمن ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب،المعهد العلمي الفرنسي ،١٩٥٥م، ص٥.

(١٧٧)عبد الله بن بلقين بن باديس بن زيري ،التبيان ،ص١١٩–١٢٠ ، ٣٤٠–٣٤١

Pidal, R.M., The Cid and his spain,p. London , 1934.222.

(١٧٨). Pidal, The Cid and his spain,p295

(١٧٩)البكري ،المغرب ص١٦٤،عبد الله بن باديس،التبيان،ص ١٢ ،ابن أبي زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس،ص٨٨، ١٠٨.

(١٨٠)عز الدين على موسى،النشاط الاقتصادي في المغرب الاسلامي خلال القرن السادي الهجري،ط١،دار الشروق،بيروت،القاهرة،١٩٨٣م ص١٦٤.

(١٨١)الونسيريشي،المعيار، ج٥،ص٢١٣،ج٧،ص ٤٥.

(١٨٢)المقري،المصدر السابق ،ج١،ص١٠٨،حسن احمد محمود،المرجع السابق،ص٤٠٣.

الخارجية في عصر المرابطين بلغت اقبالا عظيما لارتفاع قيمة الدينار المرابطي ووصوله إلى القسطنطينية والغرب الأوربي عامة ، بل أصاب من الشهرة مثلما أصابه الفلورين عملة فلورنسا فيما بعد (١٨٣)

وأوضح ابن أبي زرع الفاسي أنه في الفترة المرابطية لم يفرض خراج ولا معونة، ولا تقسيط، ولا مكس، ولا وظيفة،لا في بادية ولا حاضرة (١٨٤) ويضيف أن تلك السياسة اتبعت في عهد يوسف بن تاشفين وحده (١٨٥)، بينما تذكر رواية أخرى أن الضرائب فرضت في أيام علي بن يوسف لما ثار عليه المهدي ابن تومرت زعيم الموحدين وتزايد خطر النصارى الاسبان القشتاليين و الأراجونين (١٨٦).واكتفى الدارسون المحدثون من هذه الروايات المتناقضة بأن قالوا إن الضرائب–بشكل عام– كانت قليلة(١٨٧) مع أن رأي الدارسين هذا لا ينطبق إلا على أوائل الفترة المرابطية،أي على عهد يوسف بن تاشفين فحسب

ولابن خلدون في هذا الصدد كلام مهم،وتحليل حضاري ناتج عن استقراء دقيق لحركة التاريخ وحيوات الدول،وهو يذهب إلى أن الدولة–سواء أقامت على سنن العصبية أم على الدين– تكون قليلة الضرائب كثيرة الجبايات في أول عهدها،حين ينشط أهلها للعمل فيكثر الاعتمار.ثم تنتقل الدولة إلي مرحلة الترف، فتكثر الضرائب،ويثقل هذا كاهل الناس،فيقل الاعتمار، وتنقص الجباية ولا يكون ذلك إلا تدريجيًا.فكأن ابن خلدون في هذا الرأي يستقرىء سياسية المرابطين الضريبية!(١٨٨)

---

(١٨٣) Lavoix (H):Ctalogue des Monnaies Musulmanes de la Bibliotheque Nationales de ParisDCCCXCI(op,cit.)p.xxx,xxxv.

(١٨٤)ابن أبي زرع،المصدر السابق،ص١٠٨.

(١٨٥)المصدر نفسه ،ص٨٨.

(١٨٦)نفسه ، ص ١٠٨.

(١٨٧)دوزي " تاريخ مسلمي اسبانيا ،ترجمة د. حسن حبشي ، طبع القاهرة ، ١٩٦٣م ،ص ٢٤٥.

(١٨٨)ابن خلدون،العبر،ج١،ص١٧٩–٢٨٠.

الخاتمة والنتائج

بعد هذه الدراسة المفصلة لأثر المذهب المالكي على بعض جوانب الحياة في الدولة المرابطية نخلص إلى عدد من النتائج نجملها فيما يلي:

بينت الدراسة دور المذهب المالكي ومبادئه السَّمحة البسيطة في تغيير وجوه حياة الناس،وتقبله أهل الصحراء لبساطته ووضوحه لفترة طويلة في المغرب العربي كله،وفي الأندلس،حيث امتدت الدولة المرابطية باسطة نفوذها على تلك الرقعة الواسعة من العالم الإسلامي.

وكشفت الدراسة عن توافق وتلائم المذهب المالكي لفطرة أهل المغرب ،ويرجع ذلك الى تشابه ظروف وبيئة المغرب ببلاد الحجاز من حيث البداوة الغالبة على أهل المغرب و الأندلس، أو من في حكمهم ،من أهل صحراء المغرب، فكانوا لأهل الحجاز أميل و أقرب .

كما كشفت الدراسة عن النظام السياسي في أوائل دولة المرابطين الذي اتسم بالبساطة والسلاسة،لا تشوبهما شائبة تعقيد ولا تكلف،ولا صراعات على السلطة. المهم المصلحة العامة،والنصح للإسلام والمسلمين،دونما التفات لمآرب شخصية .

كما خلصت الدراسة إلى انقياد أمراء المرابطين لفقهاء المالكية واعتمادهم نظام الشورى–لا التوريث– في اختيار الأمير برعاية أولئك الفقهاء،وتحت إشرافهم.فهي دولة البساطة منذ نشأتها،يُخْتار قادتها وأمراؤها وفق مزيج من بساطة نظام الشورى،والأعراف القبلية البدوية لاختيار الرؤساء،بالنظر إلى السن،ورجاحة العقل،والشجاعة وغير ذلك من الصفات الحميدة التى ينبغي أن يتحلى بها الحاكم، وهذا العزوف عن توارث الحكم أوائل العصر المرابطي،أكسب الدولة قوة،والناس حرية في اختيار الأكفأ أميرًا عليهم ولم يكن الأمر صدفة،وإنما كان أمرًا متعمّدًا مقصودًا منذ البداية،عملاً بوصية زعيمائهم وعلمائهم .

وتجلى من البحث مدى بساطة الحياة الاجتماعية، ونهج أمراء المرابطين حكامهم ،في المأكل، والمشرب ،وغير ذلك من الأمور الدنيوية،فكانوا في عهدهم مثالاً للزهد،والعزوف عن زخرف الحياة ،مقاومين تأثير الحياة الأندلسية المترفة ،ويرجع ذلك الى أن الجيل الأول من المرابطين تشبثوا بإرثهم الصحراوي،من بساطة العيش،وخشونته،والتقشف فيه،والبساطة في كل شيء.

وبدا من الدراسة أن الفن المرابطي قد جمع بين البساطة و التهذيب ،والجمال والابتعاد عن مظاهر الترف ،وإعطاء الأولوية لعنصر القوة والمناعة قبل الفن والزخرفة ، كما كانت الأولوية عندهم للمباني ذات الطابع الديني وتليها الحصون .

وأخيرا كشفت الدراسة عن دور المذهب المالكي المؤثر في الأمور المتعلقة بالاقتصاد وخاصة ما يتعلق بالضرائب والجبايات،حيث ألغى المرابطون ما لم يرد به نص في الكتاب أو السنة.التي لا يقرها الشرع،ولا يرضى عنها دين،فنادوا ببطلان هذه الجبايات الجائرة التي كانت سائدة في المغرب و الأندلس قبل عصرهم،فكان لعملهم ذاك وقع عظيم،وصدى بعيد الأثر على عامة سكان الدولة المرابطية.

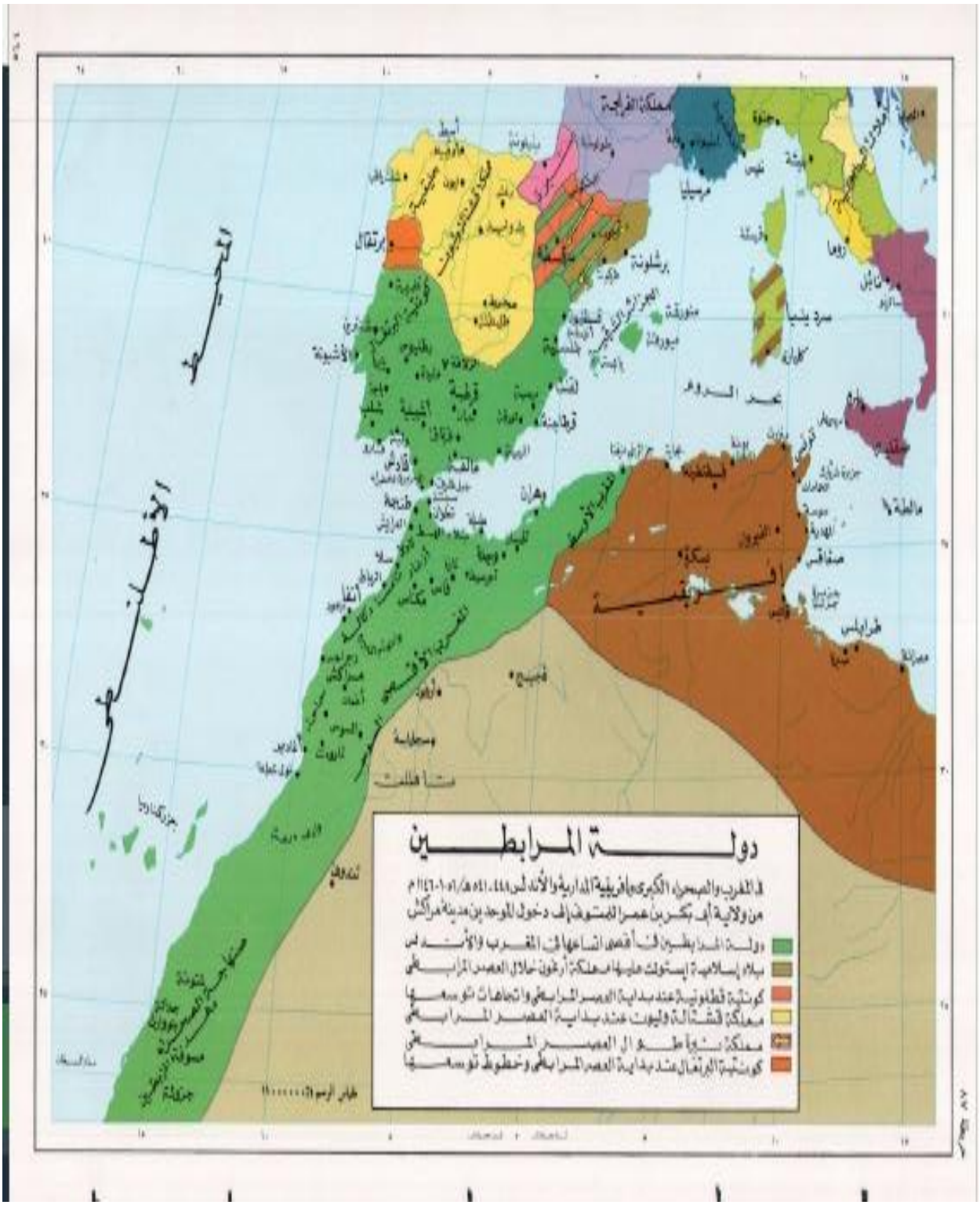

خريطة (٨٧)عن الدولة المرابطية نقلاً عن أطلس تاريخ الإسلام د.حسين مؤنس،الزهراء للإعلام العربي،القاهرة،١٩٨٧م

المصادر والمراجع

١- ابن الآبار(أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي(ت٦٥٨هـ)التكملة لكتاب الصلة،تعليق ونشر الفريد بل وابن شنب ،الجزائر، ١٩١٩م

٢- ابن أبي أصيبعة(أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس(ت٦٦٨هـ)،عيون الأنباء في طبقات الاطباء،تحقيق دكتور عامر النجار،دار المعارف ،القاهرة ، د.ت

٣- البرزلي(أبو القاسم محمد القيروان ت٨٤١هـ) فتاوى البزلي،جامع الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتيين والحكام،تقديم وتحقيق محمد الحبيب الهيلة،دار الغرب الاسلامي،بيروت ٢٠٠٢م.

٤- ابن بسام (أبو الحسن علي الشنتريني (ت٥٤٢)،الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة ،ط١،تحقيق احسان عباس ،دار الثقافة ،بيروت، ١٩٧٩م

٥- ابن بشكوال (أبو القاسم خلف بن عبد المالك(ت٥٧٨هـ)،الصلة،ط١،تحقيق ابراهيم الابياري،دار الكتاب ،القاهرة،١٩٨٩م،ج١،ص٢٣٥-٢٣٧

٦- البكري(أبو عبيد الله بن عبد العزيز(٤٨٧هـ)،كتاب المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب،ط٢،وهو جزء من كتاب المسالك والممالك ،تحقيق،دي سلان،باريس، ١٩١١م

٧- التادلي(أبو يعقوب يوسف بن ابن الزيات (ت٦٢٧)، التشوف الى رجال التصوف ،نشره وصححه أدولف فور ،الرباط،١٩٥٨.

٨- الترمذي(محمد بن عيسى بن سورة ت ٢٧٩ هـ/ ٨٩٢ م): سنن الترمذي، تحقيق: أحمد شاكر وآخرون،دار إحياء التراث العربي، بيروت.د.ت.

٩- الجيلاني(عبد السلام الغرابلي)رسالة في ذكر من أسس مدينة فاس،رقم ٩٧٣٢ح،دار الكتب،دت.

١٠- ابن الحاج(أبو عبد الله محمد بن خلف التجيبي(ت٥٢٩هـ) نوازل ابن الحاج،تحقيق د. أحمد شعيب اليوسفي،الجمعية المغربية للدراسات الأندلسية،تطوان،٢٠١٨م.ثلاثة مجلدات.

١١- ابن حزم(أبو محمد على بن أحمد بن سعيد (ت٤٦٥هـ)

- رسائل ابن حزم الأندلسي،ط٢ ،تحقيق احسان عباس،المؤسسة العربية ،بيروت،١٩٨٧م.
- الرد على ابن النغريلة،تحقيق احسان عباس،دار العروبة القاهرة،١٩٦٠م.

١٢- الحميري ، الروض المعطار في خبر الأقطار،ط٢،تحقيق د. إحسان عباس،مطابع هيدلبرغ،بيروت،١٩٨٤.

١٣- ابن خلدون(ولي الدين أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الحضرمي)

- كتاب العبر وديوان المبتدأ و الخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان،دار الكتاب اللبناني،بيرون،١٩٦٠م
- كتاب المقدمة،تحقيق عبد الواحد وافي،لجنة البيان العربي،١٩٥٣ م.

١٤- ابن خلكان(أبو العباس شمس الدين أحمد بن أبي بكر (ت٦٨١هـ) وفيات الاعيان وأبناء الزمان،دار انهضة المصرية،القاهرة ،١٩٤٨

١٥- ابن الخطيب(الوزير محمد لسان الدين ت(٧٧٦هـ)

- تاريخ المغرب العربي الوسيط القسم الثالث من كتاب اعمال الاعلام ،تحقيق وتعليق الدكتور احمد مختار العبادي ،والاستاذ محمد ابراهيم الكتاني ،نشر وتوزيع دار الكتاب الدار البيضاء ،١٩٦٤م
- أعمال الأعلام ،تحقيق ليفي بروفنسال ،دار الكشوف ،بيروت،١٩٥٦
- لحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية،ط١،تحقيق الدكتور سهيل زكار،الأستاذ عبد القادر زمامة،دار الرشاد الحديثة،الدار البيضاء،١٩٧٩م

١٦- خير الدين الزركلي

- قاموس تراجم أشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين،١٩٨٦.
- الأعلام ، ط١٥، دار العلم للملايين ، بيروت،٢٠٠٢م.

١٧- دائرة المعارف الاسلامية ،ط٢،مادة رباط،احمد الشنتناوى ،ابراهيم زكي خورشيد،عبد الحميد يونس،مطبعة الشعب ،القاهرة ١٩٦٩م.

١٨- الدباغ (عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الأنصاري ت ٦٩٦ هـ) معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، تحقيق محمد الأحمدي أبو النور ومحمد ماضور، مصر مكتبة الخانجي، تونس، المكتبة العتيقة،د.ت.

١٩- الإدريسي ،صفة المغرب وارض السودان ومصر والاندلس ،مأخوذة من نزهة المشتاق في اختراق الافاق ، نشر دوذى و دي غويه، المطبعة الشرقية ، ليدن،١٨٦٦م

٢٠- ابن ابي دينار(محمد بن القاسم الرعيني القيرواني)،كتاب المؤنس في اخبار أفريقية وتونس ،ط١،تونس ١٢٨٦هـ.

٢١- ابن رشد(الجد أبو الوليد محمد بن أحمد القرطبي ت٥٢٠هـ)

- فتاوى ابن رشد،ط١ ،تحقيق المختار بن الطاهر التليلي،دار الغرب الاسلامي،بيروت،١٩٨٧م.
- الكليات في الطب،ط١، تحقيق الجابري محمد عابد،مركز دراسات الوحدة العربية بيروت،١٩٩٩م

٢٢- ابن الزبير،صلة الصلة،تحقيق عبد السلام الهراس ،وسعيد أعراب،وزارة الاوقاف،والشؤون الاسلامية،المملكة المغربية،١٩٩٥م

٢٣- الزجالي(أبو يحيي عبيد الله بن أحمد (عاش في القرن العاشر)أمثال العوام في الاندلس تحقيق محمد بنشريفة منشورات وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية والتعليم الأصلي مطبعة محمد الخامس الثقافية الجامعية، فاس، دط، ١٩٧١م

٢٤- ابن أبي زرع((أبو الحسن علي بن عبد الله (ت ٧٢٦هـ) الأنيس المطرب بروض القرطاس في اخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس،تحقيق محمد الهاشمي الفيلالي ،الرباط،١٩٣٦م

٢٥- الزركشي(أبو عبدالله محمد ابراهيم اللؤلؤي) تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية ،ط١،تونس،١٢٨٩هـ.

٢٦- السبكي (أبو نصر عبد الوهاب تقي الدين الأنصاري) طبقات الشافعية الكبرى،دار المعرفة،بيروت، د.ت.

٢٧- السملالي(العباس بن ابراهيم)،الاعلام بمن حل بمراكش و أغمات من الأعلام ،ط١،المطبعة الملكية ، الرباط ، ١٩٩٣م

٢٨- السلاوي الناصري (الشيخ أبو العباس أحمد بن خالد الناصري (١٣١٥هـ) الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى (الدولتان المرابطية والموحدية)،تحقيق جعفر الناصري ومحمدالناصري ،دار الكتاب ، الدار البيضاء ، ١٩٥٤م

٢٩- ابن سعيد المغربي،بسط الارض في الطول والعرض ،تحقيق الدكتور خوان قرنيط خينيس ،تطوان ،١٩٥٨م.

٣٠- ابن سعيد (محمود بن سعيد مقديش)،نزهة الانظار في عجائب التواريخ والأخبار،ط١،تحقيق على الزواري ،محمد محفوظ،دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان،١٩٨٨م

٣١- الضبي(أحمد بن يحيي بن أحمد بن عميرة(ت٥٩٩هـ)،بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، دار الكاتب العلمي،القاهرة، ١٩٦٧.

٣٢- الطرطوشي (أبو بكر محمد بن الوليد بن محمد بن خلف(ت٥٢٠هـ) سراج الملوك،تعليق محمد فتحي أبو بكر،تقديم د. شوقي ضيف،الدار المصرية اللبنانية،القاهرة،١٩٤٤م

٣٣- ابن عاصم،مجموع بن عاصم ،تحقيق محمد بن شريفة ضمن تاريخ الأمثال والأزجال في المغرب والأندلس- بحوث ونصوص- منشوراتوزارة الثقافة ،مطبعة دار الناهل ،المغرب ،٢٠٠٦.

٣٤- عبد الله بن بلقين بن باديس بن زيري (التبيان عن الحادثة الكائنة بدولة بني زيري في غرناطة ،تحقيق ليفي بروفنسال ، دار المعارف ،١٩٥٥م

٣٥- ابن عبدون،رسالة في القضاء والحسبة ،نشرها ليفي بروفنسال ضمن ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب ، المعهد العلمي الفرنسي ،١٩٥٥م.

٣٦- ابن عذاري(أبو عبد الله المراكشي (ت٧٠٦هـ) البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب ،تحقيق ومراجعة الدكتور احسان عباس ، دار الثقافة ،بيروت ، لبنان ، ١٩٨٠

٣٧- ابن العريف، مفتاح السعادة وتحقيق طريق السعادة ،ط١،جمعه أبو بكر عتيق مؤمن،تحقيق الدكتور عصمت عبد اللطيف دندش، دار الغرب الاسلامي،بيروت ،لبنان،١٩٩٣م

٣٨- ابن غازي،الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون، تحقيق بنمنصور عبد الوهاب، المطبعة الملكية، الرباط، ط ٣ ،١٩٩٩م.

٣٩- ابن فرحون (ابراهيم بن علي اليعمري ت٧٩٩هـ/١٣٩٦م)،الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب،تحقيق محمد الأحمدي أبو النور،دار التراث ،القاهرة،د.ت.

٤٠- ابن القاضي(احمد بن محمد)،جذوة الاقتباس فيمن حل من الأعلام مدينة فاس ،طبع حجر فاس ١٢٠٩هـ.

٤١- القاضي عياض (أبو الفضل بن موسي ت٥٤٤هـ/٩٢٣م)
- تراجم اغلبية مستخرجة من مدارك القاضي عياض،تحقيق محمد الطالبي ، نشر الجامعة التونسية ١٩٦٨م
- ترتيب المدارك وتقريب المسالك ،ط١،تحقيق سعيد أحمد أعراب،مطبعة فضالة لمحمدية، المغرب،١٩٨١-١٩٨٣م
٤٢- ابن قزمان القرطبي ،ديوان ابن قزمان ،نشر د.كورينطي ، المعهد الاسباني العربي ،مدريد،١٩٨٠م
٤٣- القزويني (زكريا بن محمد بن محمود (ت٦٨٢هـ) آثار البلاد وأخبار العباد ، تعليق الاستاذ الدكتور حماه الله وُلد السالم ، بيروت ، ١٩٧١م
٤٤- ابن القطان (أبو محمد حسن الكتامي المراكشي (ت ق٧هـ/١٣م) نظم الجمان،ط١، تحقيق د. محمود علي مكي، دار الغرب الإسلامي، بيروت . لبنان، ١٩٩٠م
٤٥- القلقشندي(أبو العباس أحمد بن على(ت٨٢١)
- نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب " تحقيق ابراهيم الأبياري ، طبع القاهرة ،١٩٥٨م .
- صبح الأعشي في صناعة الانشا،ط١،شرح وتعليق نبيل خالد الخطيب،دار الكتب العلمية،بيروت،١٩٨٧.
٤٦- ابن الكردبوس ، تاريخ الأندلس ووصفه لابن الشباط ، تحقيق أحمد مختار العبادي ،معهد الدراسات الاسلامية ، مدريد،١٩٧١م
٤٧- ابن كثير(عماد الدين ابو الفدا اسماعيل بن عمرو)، البداية والنهاية،مكتبة المعارف، بيروت، ١٩٧٤
٤٨- الكناني(محمد المنتصر) الغزالي والمغرب : بحث ضمن مقالات وابحاث ألقيت في مهرجان دمشق المجلس الاعلي ١٩٦٥م
٤٩- المرادي الحضرمي (أبو بكر محمد الحسن (ت٤٨٩هـ) كتاب الاشارة في تدبر الامارة،ط١ ،تحقيق محمد حسن اسماعيل الشافعي ،أحمد فريد المزيدي ،منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية ،بيروت، لبنان ، ٢٠٠٣م
٥٠- المراكشي (عبد الواحد بن على ت٦٢٥هـ)المعجب في تلخيص أخبار المغرب،تحقيق محمد زينهم محمد عزب،دار الفرجاني للنشر والتوزيع،دط،دت .
٥١- المقري(أحمد بن محمد المقري التلمساني(ت١٠٤١هـ)،نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب،تحقيق احسان عباس،دار صادر،بيروت، ١٩٦٨م
٥٢- مؤلف مجهول،كتاب الطبيخ في المغرب والاندلس،صحيفة معهد الدراسات الاسلامية،مدريد ،١٩٦١م
٥٣- مجهول ، الاستبصار في عجائب الامصار ، تحقيق سعد عبد الحميد زغلول ، مطبوعات جامعة الاسكندرية ، ١٩٥٨.
٥٤- مؤلف مجهول،الاستبصار في عجائب الامصار " وصف مكة والمدينة ومصر وبلاد المغرب،نشر وتعليق د.سعد زغلول عبد الحميد،مطبعة جامعة الاسكندرية،١٩٥٨م.
٥٥- المنوني، العلوم والاداب و الفنون على عهد الموحدين،ط٢،دار المغرب،الرباط ١٩٧٧م

٥٦- النويري،نهاية الارب في فنون الأدب ، تحقيق عبد المجيد ترحيني ،منشورات محمد علي بيضون ،دار الكتب العلمية ،بيروت،لبنان ،٢٠٠٤م .

٥٧- الهمداني(لسان اليمن الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني ت٣٣٤هـ)صفة جزيرة العرب،تحقيق د. محمد بن علي الأكوع الحوالي،طبع القاهرة ،١٣٩٧هـ

٥٨- الونشريسى (أبو العباس أحمد بن يحيى (ت٩١٤هـ)المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء افريقية والأندلس والمغرب، اشراف محمد حجي ،دار الغرب الاسلامي ، نشر وزارة الاوقاف ،بيروت ،١٩٨١م

٥٩- الوزان الفاسي(حسن بن محمد)المعروف بليون الافريقي(وصف افريقيا) ،ط٢،ترجمه عن الفرنسية ،الدكتور محمد حجي ،الدكتور محمد الاخضر ،دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، ١٩٨٣

المراجع العربية

٦٠- ابراهيم حركات

- المغرب عبر التاريخ ،دار الرشاد الحديثة،الدار البيضاء، ٢٠٠٠م،جزءان.
- النظام السياسي والحربي في عهد المرابطين ،مكتبة الوحدة العربية،الدار البيضاء المغرب،١٩٦٢م.

٦١- ابراهيم القادري بوتشيش

- حلقات مفقودة من تاريخ الحضارة في الغرب الإسلامي ، دار الطليعة ، بيروت،٢٠٠٢م.
- نشأة المدرسة المالكية بالمغرب والأندلس

٦٢- أحمد مختار العبادي ، دراسات في تاريخ المغرب والأندلس ،ط١، الأسكندرية،١٩٦٨م

٦٣- جمال الدين الشيال ،ابو بكر الطرطوشي ،دار الكاتب العربي ،دت

٦٤- حامد محمد خليفة ، يوسف بن تاشفين ، ط١،دار القلم ،دمشق،٢٠٠٣م

٦٥- حسن أحمد محمود ، قيام دولة المرابطين، صفحة مشرقة من تاريخ المغرب في العصور الوسطي ، دار الفكر العربي،القاهرة، دت

٦٦- حسن ابراهيم حسن،تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي،ط١٤، دار الجيل ،بيروت،١٩٩٦م

٦٧- حسن علي حسن، الحضارة الاسلامية في المغرب والاندلس " عصر المرابطين والموحدين" ط١، مكتبة الخانكي ، القاهرة،١٩٨٠م

٦٨- حسين مؤنس

- تاريخ المغرب وحضارته،العصر الحديث للنشر والتوزيع ، ١٩٩٢م.
- تطور العمارة الاسلامية في الاندلس ، جامعة فؤاد ،١٩٥١ م.
- أطلس تاريخ الإسلام،ط١،الزهراء للإعلام العربي،القاهرة،١٩٨٧م.

٦٩- حمدي عبد المنعم حسين
- التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والاندلس في عصر المرابطين ، دار المعرفةالجامعية ، الاسكندرية،١٩٩٧م.
- تاريخ المغرب والاندلس في عصر دولة على بن يوسف المرابطي ،نشر مؤسسة شباب الجامعة ، الاسكندرية ، ١٩٨٦م
٧٠- سامي محمد نوار ، الكامل في مصطلحات العمارة الاسلامية من بطون المعاجم اللغوية ، دار الوفاء ، مصر،٢٠٠٣.
٧١- سعد زغلول عبد الحميد ، تاريخ المغرب العربي من الفتح الي بداية عصر الاستقلال ، منشأة المعارف الاسكندرية، ١٩٧٩م
٧٢- سعدون عباس نصر الله،دولة المرابطين في المغرب والاندلس ط١،دار النهضة العربية ، بيروت، ١٩٨٥م
٧٣- شوقي أبو خليل، الزلاقة بقيادة يوسف بن تاشفين،ط٢، دار الفكر للطباعة للطباعة والتوزيع، دمشق، ١٩٨٠م
٧٤- عبد العزيز بنعبد الله، تاريخ المغرب، الدار البيضاء ،المغرب ،دت.
٧٥- عبد العزيز سالم
- المغرب الكبير ، مؤسسة شباب الجامعة ،الاسكندرية، دت.
- في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس، مؤسسة شباب الجامعة،الاسكندرية،دط،١٩٨٥م.
٧٦- عبد الكريم حتاملة،جهود نظام الملك في تأسيس المدرسة النظامية في بغداد والمدارس النظامية الأخرى ،بحث منشور جامعة اليرموك ،سلسلة العلوم لإنسانية والإجتماعية،٢٠٠٣م
٧٧- عز الدين على موسى،النشاط الاقتصادي في المغرب الاسلامي خلال القرن السادي الهجري ،ط١،دار الشروق،بيروت ، القاهرة،١٩٨٣م
٧٨- عصمت دندش، الأندلس في نهاية المرابطين و مستهل الموحدين عصر الطوائف الثاني،دار الغرب الاسلامي،بيروت،١٩٨٨م
٧٩- عماد بن عبد السلام رؤوف العطار،مدارس بغداد في العصر العباسي،دار البصري،بغداد،١٩٦٦م
٨٠- عمر الجيدي
- مباحث في المذهب المالكي بالمغرب،منشورات عكاظ،طبع في المغرب،١٩٩٣ م .
- محاضرات في تاريخ المذهب المالكي في الغرب الإسلامي، منشورات عكاظ ،الدار البيضاء ، ١٩٨٧،م.
٨١- كمال السيد أبو مصطفي
- تاريخ الاندلس الاقتصادي في عصر دولتي المرابطين والموحدين ، مركز الاسكندرية للكتاب ،د.ت.

- جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية والعلمية في المغرب من خلال نوازل وفتاوى المعيار المعرب للونسريشي،مركز الاسكندرية للكتاب ،١٩٩٦م.

٨٢- محمد أحمد أبو الفضل ،شرق الاندلس في العصر الاسلامي ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، ١٩٩٦.

٨٣- محمد عابد الجابري ،تكوين العقل العربي، ط٨،مركز دراسات الوحدة العربية ،بيروت ،٢٠٠٢ م.

٨٤- محمد بن محمد مخلوف ، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية ،ط١، تحقيق عمر علي،مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، ٢٠٠٧م

٨٥- محمد الطيب عقاب، لمحات عن العمارة والفنون الاسلامية في الجزائر، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ٢٠٠٢ م

٨٦- معازير عبد القادر، فن العمارة عند المرابطين (ق ٥هـ-٦هـ/ ١١-١٢م)، مجلة الكلمة ، العدد ١٠٦، فبراير، ٢٠١٦م.

٨٧- مجموعة كتاب وباحثين ، فن العمارة الإسلامية إتجاهات وتأثيرات ، وكالة الصحافة الغربية ، القاهرة ٢٠٢٠،

٨٨- نجم الدين الهنتاتي،المذهب المالكي بالغرب الإسلامي إلى منتصف القرن الخامس الهجري،الحادي عشرالميلادي،دار تبر الزمان،تونس ٢٠٠٤ م

المراجع المعربة

٨٩- آنجل جنثالث بالنثيا ، تاريخ الفكر الأندلسي،نقله عن الإسبانية حسين مؤنس،مكتبة الثقافة الدينية ، د.ت

٩٠- باسيليون بابون مالدونادو،العمارة الاسلامية في الاندلس ، ط١، ترجمة:علي ابراهيم المنوفي، مراجعة،محمد حمزة الحداد، المركز القومي للترجمة، القاهرة ،٢٠١٠م

٩١- جان وجيرم طارو، أزهار البساتين في أخبار الأندلس والمغرب في عهد المرابطين والموحدين،ترجمة وتعليق أحمد بلافريج ومحمد) الفاسي،المطبعة الوطنية، الرباط، ١٣٤٩هـ

٩٢- روجيه لوتورنو ،فاس في عصر بني مرين،ترجمة الدكتور نقولا زياده،مكتبة لبنان،دت

٩٣- رينهارت دوزي

- المعجم المفضل بأسماء الملابس عند العرب ،ط١،ترجمة الدكتور أكرم فاضل ، الدار العربية للموسوعات ،بيروت، ٢٠١٢م
- تاريخ مسلمي اسبانيا ،ترجمة د. حسن حبشي ، طبع القاهرة ، ١٩٦٣م

٩٤- فالتر هنتس ، المكاييل والاوزان الاسلامية ،ترجمة الدكتور كامل العسيلي ، منشورات الجامعة الاردنية د.ت

٩٥- كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الاسلامية ،ط٥،ترجمة نبيه أمين فارس ، منير البعلبكي ،دار الملايين بيروت، ١٩٦٨م

٩٦- . ليوبولدو توريس بالباس:الفن المرابطي والموحدي،تحقيق،الدكتور سيد غازي،دار المعارف،مصر ،١٩٧١ م

٩٧- . مانويل جوميث مورينو، الفن الاسلامي في اسبانيا من الفتح الاسلامي للاندلس حتى نهاية عصر المرابطين ، ترجمة الدكتور السيد عبد العزيز سالم ،الدكتور لطفي عبد البديع ، مؤسسة شباب الجامعة ،دت .

٩٨- يوسف اشباخ،تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين،ترجمة محمد عبد الله عنان مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر،القاهرة،١٩٤٠-١٩٤١م

المراجع الأجنبية

٩٩- Asin palacios M.,"Un Codice Inexplorado del Cordobes Ibn Hazm" Al Andalus , 1934 v.II,Fasc.I,

١٠٠- Lavoix (H):Ctalogue des Monnaies Musulmanes de la Bibliotheque Nationales de ParisDCCCXCI(op,cit.)p.xxx,xxxv

١٠١- Le'vi Provencal:"Un manuel Hispanique de Hisba sur la surveillance des corporation et la repression des frauds en Espagne,Musulmane,pariis DCCCXXXI,OP cit, T , P 431

١٠٢- Max,VAN BERCHEM, Titre califiens d'Occident, dans J.A., T., IX, mars-avril1907, pp., 245 sq.

١٠٣- Nehemia Levtzion, "Abd Allah b. Yasin and the Almoravids", in: John Ralph Willis, Studies in West African Islamic History

١٠٤- P. F. de Moraes Farias, "The Almoravids: Some Questions Concerning the Character of the Movement", Bulletin de l'IFAN, series B, 1967.